رواية

"ستوكهولم"

ياسر محمد

دار بيوند للنشر والتوزيع

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: ستوكهولم

المؤلف: ياسر محمد

الطبعة: الطبعة الاولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

التدقيق اللغوي: احمد محمد عبد الستار

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي

رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٢٣٩٧

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٤٥-٣١-٨

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

محمد عز الدين

المدير العام

صبرينة غلمي

مدير التنفيدي

جلال عز الدين

الإهداء الأول.

أبـــــــي،

إليك..

لم أجد صدرا يضمني إليه سواك..

فأنت نبع الحنان السامي..

ونبع الحب الصافي..

فأيٌ منكم تختلف كلماته عن كلماتي..

أيٌ منكم يجرؤ على قول سوى كلامي..

أيٌ منكم سيقول أن الأب ليس ذلك الحضن الدافئ..

أبي.. أنت من علمني معنى الحياة..

أنت من أمسكت بيدي على دروبها..

إليكِ أمي..

أردت أن يصلكِ إحساسي.. من خلال ما زفرته أنفاسي..

أردت أن تصل كلمتي إلى قلبك.. فأنا لا أتأمل حياةً بعدك..

أردت أن تصل إليك كلمة.. خرجت من أعماقي مقحمة..

كلمتي إليك أمي وأبي هي..

أحبـــــــــــــــــــــــكـــــــم.

الإهداء الثاني.

" إلى كل من آمن بفكري وعمل من أجله "

شكر خاص.

إلى السادة المحترمين "دار بيوند للنشر والتوزيع".

متمثلة لشخص صديقي "أ/ محمد عز الدين".

والمجتهد المميز "أ/ جلال الدين".

شكرا لثقتكم في قلمي وتمسككم بوجودي ضمن عائلة "بيوند".

دامت صداقتكم قبل العمل معكم فخرا لكل من تعامل معكم.

إلى "د / محمود صلاح " رئيس رابطة الأدباء المصريين على دعمك المتواصل وتواصلك المستمر لدعم المواهب الشابة التي لازالت في جعبتها الكثير دمت أخ وصديق نفخر بوجوده معانا.

إلى صديقي وابن خالتي "أ / محمد رضا" كل الشكر لدعمك المستمر لنا والوثوق بنا ومساندتك المتواصلة، كل الشكر لإعطائك لنا ضوءا أشعت به روايتنا وبفضله خرجت الفكرة إلى النور.

إلى أخي الأكبر "هشام محمد" كم كنت دائما سندا وعونا وحاضرا للدعم والمساندة في كل الأو،قات دمت لي السند والعون.

وإلى أختي الجميلة التي دائما ما حملت لي أوراق الحب ونظرات الفخر التي أجدها تبرز في ملامح وجهها بمجرد أن يذكر اسمي أمامها، شكرا لحبك ودعمك المتواصل لي.

إلى جروب "ساحر الكتب" _"أسرار الكتب" _ "بحر الكتب" "عالم الكتب".

شكرا لدعمكم المتواصل لشخصي ولكتاباتي التي برزت ملامح الإبداع من خلالكم، شكرا لجهدكم المتواصل والمستمر لدعم الجميع في مجال الأدب ونشر الثقافة والعلم بين طيات المجتمع.

إلى جمهوري ومتابعيني شكرا لدعمكم، أنتم السند والممول الرئيسي لكتباتي، دمتم فخرا لي وتاجا على رأسي، أكمل ما بدأته بفضل دعمكم ووجودكم معي، شكرا لكم جميعا..

المقدمة..

قد تتوقّف الحياة في عينيك في لحظات المرض، وتظن أنّه لا نهاية لهذا الحزن، وأنّه ليس فوق الأرض من هو أتعس منك، فتقسو على نفسك حين تحكم عليها بالموت، وتنفّذ بها حكم الموت بلا تردّد، وتنزع الحياة من قلبك، وتعيش بين الآخرين كالميت تماما

لم يعد المعنى الوحيد للموت هو الرحيل عن هذه الحياة، فهناك من يمارس الموت بطرق مختلفة، ويعيش كل تفاصيل وتضاريس الموت، وهو ما زال على قيد الحياة.

الكثير منا يتمنّى الموت في لحظات المرض والانكسار، ظنّا منه أنّ الموت هو الحلّ الوحيد والنهاية السعيدة لسلسلة العذاب والمرض الذي يعاني منه.

غرفة ضيقة وظلمة دامسة، وغربة ومرض يجعلك لا تعرف نفسك وكأنك تشعر بأن شيء ما يحركك في الاتجاه المعاكس رغما عنك

لست نادم بل أنك مستمتع بما تقوم به.

قمة الالم أن تضطر يوما إلى القيام بدور لا يناسبك، أن تضع أجمل ما لديك تحت قدميك، أن تتظاهر بما ليس في داخلك كأنك مجنون تحافظ

على بقاء صورتك جميلة رغم كل ما تمر به، أن تصافح بحرارة يدا تدرك مدى تلوثها وخيانتها لك، أن تبتسم في وجه إنسان تتمنى أن تبصق في وجهه وتمضي ولكنك تفعل العكس دون تردد دون أن تدرك حقيقه مرضك الذي يتحكم بك.

أشد الأمور جرحا أن تجلس مع نفسك فلا تجدها، أن يتغير الذين من حولك فجأة وبلا مقدمات تؤهلك نفسيا لتقبل الأمر، أن تطرح على نفسك أسئله لا تملك القدرة على الإجابة عليها، أن تصافحهم بأستفساراتك فيصفعوك بإجابتهم، أن تفني نصف عمرك بزراعة الورد في طريقهم ويتركوك ويرحلوا.

إننا أحيانا قد نعتاد المرض حتى يصبح جزءا منا، ونصير جزءا منه، وفي بعض الأحيان تعتاد عين الإنسان على بعض الألوان ويفقد القدرة على أن يرى غيرها،

تبقى تلك الخطوط البسيطة التي ادركنا من خلالها حقيقة الأمر.

سطرنها لكم في رواية لتكونوا على مقربة من أحداثها وتفاصيلها فاحذره فأنه

يتمدّد بكيانك، يتجمّع كالطّيف قليلا وتراه سرابا يتبدّد ولكنه حقيقة.

تنبية:

- هذه الرواية ليست واقع مصدق به ولا خيال مطلق وكل الشخصيات والمناصب والاسماء التي ذكرت هي من "واقع " خيال المؤلف.

تمهيد.

نحن عندما نكتب لا نكتب بحبر القلم، بل نكتب بدماء القلوب، فعذرا إن ظهرت بعض الجراح على السطور، تلك اللحظة انطلقت وحدي وسألت نفسي:

- سأصمت؟ نعم سأصمت وأدع الحسرة تذبحني وأنفاسي الطويلة حين تخرج أشعر بأنها تأخذ روحي معها .

جلست تحت ظل الجدار وبدأت أصرخ ودموعي كالنار تحرقني. والناس يتساءلون بينهم ولا أحد يستطيع التقرب مني لشدة حرارة نار حزني ودموعي.

فقط من بعيد يقولون من هذا الذي تحت الجدار يصرخ ويموت؟ لا يعرفون بأني أودع روحي قبل أن أودع جسدي

وكأنها ليست بدموع بل أشبه بنهر من نار جارٍ من بركان الوهن والحزن.

مأساة ترعدني وأنا أراها والمرض يجتاحني.

حـين أنظـر إلـى نفسـي كـأني أرى نـورا مـن الإيمـان العـابق وأنفاسا ذا الرائحة الشذية كرائحة المسك.

وحين أستشعر جسدي وألمسه أرتجف حزنا.

ها أنا أرتمي بكل أحزاني، بكل ما أحمل من جروح أدفنه بين أحضانكِ.

وفي تلك الجلسة وأتمنى لو أنني أخرج من جسدي فيخنقني عذابي ومرضي.

أصبحت في غيبوبة لا أعرف ما حدث وما قمت به في الماضي. غيبوبة من نوع آخر.. غيبوبة تخامر كلماتي التي تطوف في الذاكرة.

التي تخزن بعض الأشواك الواخزة لحزني القاسي، يأسرني البكاء وأنين حزني المؤلم يخنق دمعتي.

#من مذكرات وعد

تنبيه

تابع بشغف للنهاية لا تفقد تركيزك..

الفصل الأول

"الجلسة"

"وفي تلك الجلسة أتمنى لو أنني أخرج من جسدي

فيخنقني عذابي ومرضي".

كانت خطوط الشمس الذهبية تسطع من جديد محاولة الدخول إلى تلك الغرفة المظلمة والتي لا يدخل إليها النور قط بسبب تلك الستائر الضخمة التي تحيط بجميع النوافذ.

غرفة يتوسطها مكتب صغير أنيق للغاية ملقاة عليه بعض الأوراق ومسجل صغير وبعض الشرائط الملقاة بجواره مباشرة.

و(أباجورة) تنير بضوئها الخافت للغاية بعضا من ملامح الغرفة المظلمة وها هي تجلس تلك الفتاة وحدها وقد غلبتها جفونها المثقلة وهي على ذلك الكرسي المائل وغطت في نوم عميق ولا تدري متى ستصحو من غفلتها!

وإذا بصوت يملؤه الكثير من الحنان يداعب آذان تلك الفتاة عن قرب ويهمس باسمها من جديد قائلا:

-

- وعد، يا وعد..

أفاقت (وعد) وقد شعرت أنها غطت في نوم عميق لمدة سنوات وليست بضع لحظات ووقفت باكية وقد ظهرت عليها علامات اليأس والمرض التي تحيط بها من كل اتجاه وصوب.

فهي تسكن تلك الغرفة ولا تبرح مكانها وسط تلك العتمة والظلام الحالك، الدموع تنساب شيئا فشيئا على وجنتيها من آثار الانهزام النفسي وحالة التخبط التي تعيشها في الآونة الأخيرة.

فهي جليسة تلك الغرفة منذ أسابيع عدة تعالج من مرض نفسي قد ألم بها ولا تعرف حقيقته بعد.

أفاقت (وعد) وهي تبكي وكأنها مرت بكابوس جديد حط رحاله الآن وسط أحلامها المحطمة وبدأت تنظر تجاه ذلك الصوت الحنون الذي يداعبها لكي تصحو من غفلتها.

وما أن رأت الدكتورة (سعاد) المسؤولة عن علاجها حتى انفرجت شفتاها عن ابتسامة، واحتضنتها بحنان بالغ وكأنها لم ترها منذ سنوات على الرغم من أنها لم تتركها سوى لبضع لحظات لترتاح قبل بدء جلسة العلاج اليومي لها.

فقط نور (الأباجورة) على مكتب الدكتورة (سعاد) هو المضيء في كامل الغرفة، بالكاد ترى (وعد) عيون الدكتورة (سعاد) أثناء الجلسة التي تعودت على تكرارها خلال الأيام والأسابيع القليلة الماضية.

بعدما انتابتها حالة هيسترية لا تستطيع أن تسيطر عليها..

هي هنا في تلك الغرفة المظلمة جليسة ذلك الكرسي المائل تحكي ما حدث لها في الماضي في هدوء تام وأحيانا بكل عصبية..

ولكن سرعان ما تهدأ بسبب الظلام الحالك الذي تتواجد عليه الغرفة الجالسة بها.

فهي تعودت على ذلك الظلام الحالك بعد أن انتابتها تلك الحالة غير المفهومة والتي بسببها تجلس هنا وعلى مقربة من الدكتورة (سعاد) لمعرفة ما دار بها بالماضي ولكي تعالج وتعود من جديد إلى النور، النور الذي قد غاب عنها خلال السنوات الماضية.

- (وعد) اتكلمي عايزة أسمعك..

كانت تحدثها الدكتورة (سعاد) بتلك الكلمات البسيطة تشجيعا منها على العودة للحديث مرة أخرى ولكن (وعد) مازالت تحدق بها بشدة بالغة.

وبعد دقائق استمرت (وعد) في التدقيق بدأت في الكلام بتأتأة بسيطة غير مفهومة وكأن الكلام ثقيل على لسانها لا يريد أن يخرج وتخرج معه الحقيقة التي تخفى على الجميع.

بدأ الكلام يتوازن قليلا على لسان (وعد) وبدأت بالحديث أخيرا.

وبكلمات مختصرة قالت:

- أبدأ منين!!؟

ردت الدكتورة (سعاد) وقد ظهرت عليها حالة من الهدوء المصتنع المسيطر على كلماتها كما هي عادتها حتى لا توترها:

- اتكلمي يا (وعد) من المكان اللي حابة تبدأي منه الحكاية اتكلمي أنا كلي آذان صاغية.

ظهرت على (وعد) ملامح الطمأنينة بعض الشيء بعد حديث الدكتورة (سعاد) وأصبحت مستعدة للحديث مرة أخرى لتحكي تفاصيل ما جري..

بدأت بالرجوع للخلف قليلا حتى أدارت ظهرها بالكامل على ذلك الكرسي المائل.

عجزت عن أن تحتفظ بعينين منتبهتين.. أغلقتهما وتحدثت وهي مغمضة:

- حقيقي مش عارفة أبدأ منين وممكن الكلام يطاوعني ولا لا.. كأن الحروف تعلقت وعجزت عن الخروج بكامل إرادتها وتوقفت في حنجرتي..

ازاي أنطق أو حتى أفكر ولو مجرد تفكير في كل اللي شوفته بعيني واللي حسيت بيه وقتها واللي عشت مرارته!

معرفش إذا كنت لسه مريضة نفسية بتتعالج منذ أسابيع وفي كل جلسة أحكي بعض من ملامح الحقيقة المؤلمة.

الحقيقة اللي لا أزال أفتقد لتفسير لها حتى الآن.

لقد وصلت لمرحلة من حياتي لا أطيق أن أرى نفسي فيها.

تلجمت جميع مشاعري وغرائزي في رأسي وأصبحت كل أحلامي أن أكون برفقة رجل حتى لا يضيع عليّ قطار الزواج بعدما أصبح عمري وقتها قد تخطى حاجز الثلاثين.

كانت غرائزي كأنثى تلح عليّ في أفكاري باستمرار.

شعرت أن مع مرور الوقت وتقدم العمر روحي أصبحت ليست ملكا لي.

بعد ما فقدت الشعور بكل شيء.

امرأة في ذلك السن ولم يقترب منها رجل حتى ليسألها عن اسمها.

كانت كلمات الناس تدوي في أذني بشدة، كانت تلك الكلمات تنزل عليّ كالصاعقة، منهم من يراني سأبقى في مكاني أرضا بورا لن يكون لي يوما خليفة يرثني من بعدي.

ومنهم من يراني أصبحت شاحبة الوجه لا أحد سيقترب مني بالتأكيد..

كانت الضغوضات تزيد عليّ يوما تلو الآخر خصوصا بعدما تزوجت أختي الأصغر مني سنا ومن قبلها أخي الذي تزوج وهاجر من بعدها بعدما طالته هو الآخر ألسنة الناس بأن أخته الكبرى ستبقى "كالبيت الواقف".

لم يتحمل تلك الكلمات ولم يستطع أن يواجه الناس فقط فضل الهرب والعيش بسعادة بعيدا عن مشاكلي.

وكلام الناس الذي كان يراه هو إهانة في حقه قبل أن يكون إهانة لي..

في الحقيقة لم تكن هذه مشكلة أخي الوحيدة، لقد اتهمني مسبقا بالاستحواذ على حب أبي فكانت هذه نقطة الانطلاق وتركي وحيدة بمجرد أن سمع أن الهجرة قد فتحت أبوابها ففضل الهرب والعيش بسعادة بعيدا عني..

كانت الأيام تمر عليّ ببطء شديد، ورغم بطء الأيام إلا أنني كنت لا أشعر بها..

تزوجت أختي من محامٍ شهير معروف في الوسط القضائي ولديه معارف كثيرة وبعد فترة وجيزة اقترح هو الآخر على أختي أن يسافرا خارج البلاد خوفا على أن تمس زوجته أي كلمات بخصوصي ولكن الحقيقة كان همه الأول سمعته البراقة.

فضل الجميع وقتها الهروب وتركي وحيدة دون أب أو أم تحنو عليّ.

فقد كنت الأب والأم معا، اكتفيت بتربيت إخوتي الصغار إلى أن أصبحوا كبارا فتزوجوا وتركوني وحيدة شاحبة الوجه يخاف الجميع أن يقترب مني خوفا أن يمسهم كلام الناس بسببي..

كنت الأم والأب معا وذلك بعد أن توفي أمي وأبي في الواقعة الشهيرة التي حدثت منذ عدة سنوات وهي تحطم الطائرة المنكوبة بعد أن أدوا مناسك الحج، تحطمت بهم الطائرة وهم في طريق عودتهم.

ولم يجدوا حتى أشلاء لهم لندفنها أو لنمر عليها لندعو لهم في مقابرهم.

تحطمت الطائرة وتحطم معها قلبي وتركت وحيدة ليس لدي سوى أخ وأخت في سن صغيرة يحتاجون إلى رعاية واهتمام.

بذلت كل ما في وسعي ليكونوا على أفضل حال، بذلت كل شيء من أجلهم وتناسيت نفسي، تناسيت أن عمري يمر من أمامي وأنا مازلت وحيدة بلا سند لا أحد يهتم بما أفعل ولا أحد يسأل عليّ أو يحاول التقرب مني، لم أشعر بنفسي كسابق عهدي.

عندما كنت صغيرة كنت أتذكر كيف كنت أغضب عندما أسمع كلمات من بعض الشباب في حقي يشعرني بأنوثتي، كان قلبي وقتها يشعر بالسعادة الغامرة.

ولكني كنت أرفضه بشدة وأظهر بعض من ملامح الصرامة على وجهي حتى لا أكون مطمعا لهم.

كنت أشعر بذاتي من بعض تلك الكلمات البسيطة التي كنت أعتقد أنها في الماضي سيئة وها أنا الآن أتمنى أن تعود من جديد تلك الكلمات التي تشعرني بذاتي.

أتذكرها جيدا وأتذكر كيف كان الجميع يريد أن يتقرب مني.

وكيف أصبحت الآن والجميع يحاول أن يبتعد عني.

أصبحت بعدما كنت ملكة متوجة على عرش قلوب الكثير من الشباب في صغري إلى امرأة قد شاب شعرها يهرب منها الجميع منها ويفضل الابتعاد عنها..

أعتقد دي أسباب كافية ممكن تكون السبب للي وصلت ليه دلوقتي..!

تحركت الدكتورة (سعاد) من على الكرسي المقابل لذلك الكرسي المائل التي تجلس عليه (وعد) واقتربت منها ووضعت يدها بين يديها قائلة بحنان:

- كل حاجة هتبقى كويسة وتمام استريحي انتي دلوقتي ونكمل بعدين..

سمعت (وعد) تلك الكلمات المختصرة وتقبلتها بصدر رحب وأرادت أن تستريح قليلا من تلك الأحداث التي أدت بها إلى تلك الغرفة المظلمة.

وخارت قواها وارتمت في مكانها وقد ثقلت رأسها ودارت بها الغرفة فأغمضت عينها وغاصت في سبات عميق.

أرادت أن ترمي كل شيء خلف ظهرها ولو مؤقتا لتعود وتبدأ من جديد فصول قصتها.

بعد أن نامت (وعد) ولم تشعر بالوقت وكأنها أرادت أن تخرج من الحياة للأبد وكأنها لم تنم منذ فترة طويلة.

صمت المكان الموحش جعلها تعيد شريط ذكرياتها، لقطات خاطفة تمر أمامها:

ترى بوضوح كل شيء، تلك الصرخات المتتالية التي لا تتوقف منها وتلك الكلمات التي تتذكرها جيدا وهي ممزقة الملابس تسير وحدها وسط الطرقات تنادي أحدا لينجدها ولكن الجميع يحتمي ويهرب ومازال صوت الصراخ على أشده حتى أفاقت أخيرا على صوت صراخ هاتفها لتجد نفسها قد نامت قرابة الساعتين ولا أحد في الغرفة غيرها وهاتفها يرن ويهتز بجانبها ويعلن عن ضيف أخيرا قد أضاءت الشاشة باسمه.

ذلك الرقم الغريب والتي تطول أرقامه بشكل غريب يتبين لك منذ الوهلة الأولى أن المكالمة من خارج حدود الوطن.

ضغطت على زر الرد وبكل هدوء قالت:

- مين معايا؟

وإذا بصوت أنثوي رقيق يحدثها قائلا:

- وعد وحشتيني..

ردت (وعد) بتعجب شديد ومازال الصوت غريب عليها بعض الشيء فلم يحدثها أحد منذ فترة طويلة وأصبح هاتفها مجرد آلة تعرف من خلالها التاريخ والوقت بعدما فقدت الشعور بكل شيء من حولها وابتعد عنها الجميع، ومن جديد:

- مين معايا!؟

رد ذلك الصوت الأنثوي الجميل من جديد بكل لطف وحنان:

- أنا (مي) يا وعد مش فكراني!!

تتوقف قليلا (وعد) عن الكلام وكأنها صدمت فلم تتوقع أن تسأل عليها أختها فـ(مي) هي الأخت الصغرى لـ(وعد) هربت وابتعدت هي الأخرى عن حياة أختها منذ فترة ليست بالقصيرة بعدما تزوجت ببضعة

أشهر فضلت الابتعاد والعيش بعيدا عن مشاكلها، فضلت الهروب آنذاك واكتفت بمكالمة كل حين لكي يطمئن قلبها على أختها.

قالت (مي) وباندهاش كبير تحدثها من جديد:

- وعد مش بتردي عليا ليه لسه زعلانة مني؟ لسه مش عايزة تسامحيني!!

ترد أخيرا (وعد) بهدوئها التي تعودت أن تكون عليه في الفترة الأخيرة وبكلمات مختصرة قالت:

- ازيك يا (مي)..؟

كلمات مختصرة قالتها بتأثر كبير، لا تستطيع أن تنسى ما فعلته بها أختها ولكنها لا تستطيع أن تبعد عنها فهي تشعر دائما أنها روحها الثانية..

وبدأت قطرات الدموع كاللهب تتساقط على وجنتيها دون إرادة منها دون توقف وكأنها أنهار وقد فتح إليها الطريق لتعبر من جديد وتنطلق.

لحظت (مي) صوت بكاء هستيري من (وعد) وقالت بتأثر شديد:

- صوت عياطك لسه بيرن في ودني مش عارفة أسامح نفسي على اللي عملته في حقك.. ازاي ممكن صحيح تسامحيني إذا كنت مش عارفة أسامح نفسي..!

(وعد) وقد تلجمت مشاعرها فجأة قالت:

- أنا مفيش أي ضغينة في قلبي منك يا (مي) ومش قادرة أعرف سبب إني دايما عندي القدرة على المسامحة الفورية لكل من تسبب في إيذائي معرفش قادرة أجيب قوة التسامح دي منين ولكنه مرض بيسيطر على كل جسدي ومشاعري في حالة اضطراب دائم أتمنى إني أتعالج منه قريب.

(مي) بعد تلك الكلمات المدوية التي سمعتها من أختها (وعد) شعرت بعدم اتزان وبدأت تتلعثم في الكلام لا تعرف بماذا ترد أو تقول فقط اكتفت بقول:

- أنا حبيت أطمن عليكي طمنيني الأمور ماشية معاكي ازاي بعد اللي حصل؟

لسه لوحدك في الغرفة المظلمة بتكلمي نفسك في صمت!؟

ردت (وعد) ردا مختصرا وكأنها أرادت أن تنهي معها حديثها:

- الظلام ليس باختياري أن أعيش فيه ولكنه الوقت المناسب لأكون فيه.

هنا تزال بعض من الهموم، لا أحد يرى وجهك الشاحب لا أحد يرى دموعك وهي تتساقط. انتي هنا محتمية فالظلام فلا داعي للسؤال!!

رد دبلوماسي أنهت من خلاله تلك المكالمة بحرفية شديدة.

هي لا تريد أن تتحدث مع أحد فيما حدث بالماضي فليس سوى الدكتورة (سعاد) هي من ترتاح وتقرر أن تبقى بجانبها دائما، تشعر أنها تشبهها كثيرا، بعض من ملامحها تطابقها تماما وتلك النظرة الحنونة التي تشاركها فيها.

بعدما أنهت (وعد) آخر كلماتها ولكن يبقى ذهنها شارد بعض الشيء فلم تتوقع أن تكون أختها مازالت تتذكرها ولديها الجرأة لمواجهتها من جديد بعد ما تركتها وحيدة في الماضي وفضلت الهرب بعيدا ولأن كل ما حدث لها هي ضلع أساسي به.

خرجت من الحالة التي كانت تسيطر عليها بمجرد ما سمعت صوت المفتاح يدورفي الباب من الخارج.

أيقنت وقتها (وعد) أنه حان وقت العودة من جديد لتقص تفاصيل جديدة، فلتعد وتبدأ الجلسة من جديد.

قالت (سعاد):

- ها يا (وعد) جاهزة نكمل الجلسة؟

- فلنبدأ من جديد لأزيح عن جسدي وفكري تلك الهموم المتراكمة عليّ.

لقد بدأ الأمر مع مرور الوقت، صرت أكثر جنونا وقتها بعدما فقدت الأمل في أن أرتوي بحضن رجل، بدأت نظراتي تتغير وشهواتي تزيد ولا أستطيع أن أحجبها أكثر من ذلك..

بعدما فارقني الجميع وتعودت على العزلة إذا ببوادر أمل حسبت وقتها أنها طريق النجاة الأخير والفرصة الأقرب لتصحيح الأمور.

اقترح (مجدي) زوج أختي أن يكون وصلة خير ويحاول أن يربط علاقته ببعض الأشخاص الذين مازالوا لم يدخلوا عش الزوجية للتقرب مني.

وفي جلسة جمعته بأختي بإحدى الكافيهات كان يرتب للأمر، أراد المساعدة وحسب كما كنا نعتقد، ورتب للقاء أحد أصدقائه المقربين به في نفس توقيت تواجده مع أختي في إحدى كافيهات مدينة العين بدولة الإمارات.

وإذا بشخص وسيم في الثلاثين من عمره يرتدي بنطلون جينز بيج اللون وقميص كحلي ويضع العطر المميز، عندما تمعن النظر إليه تردد وبكل بلاهة وتقول "شكله ابن ناس" وبدأ بالترجل نحوهم..

ـإيه الصدفة العجيبة دي!؟

كلمات قالها (مجدي) عندما رأى صديقه (يحيى) مقبلا عليه وكأنه متفاجئ وأكمل حديثه (مجدي) قائلا:

- إيه يابني فينك كدا تعالى اقعد معانا لو موراكش حاجة.

تنظر إليهم (مي) نظرات حيرة واندهاش بعض الشيء من الموقف تشعر أن أمرا ما يحدث من ورائها ولكنها تخفي ذلك بابتسامة رقيقة تستقبل بها صديق زوجها..

يبتسم (مجدي) في وجه زوجته قائلا:

- دا بقى يا ستي (يحيى) صاحبي الأنتيم رجل أعمال ومدير أكبر شركة مقاولات في الشرق الأوسط بس بقى يا ستي مش فاضيلنا ومبقاش يسأل وبشوفه صدفة كل فين وفين!

قالت (مي) بابتسامة عريضة:

- أهلا وسهلا أستاذ (يحيى) نورتنا..

رد (يحيى) وابتسامة الخجل تظهر على ملامح وجهه:

- دا نورك والله أنا خايف أكون أزعجتكم.

ردت (مي):

- لا خالص دا انت تنورنا في أي وقت دا احنا حظنا حلو..

يبتسم (مجدي) ويداعب يحيى قائلا:

- مجبتش مراتك معاك ليه؟

يستعد (يحيى) للحديث والرد على تلك الفقاعة والمراوغة التي قالها صديقه (مجدي) فا (يحيى) لم يكن متزوجا.

وبدأ (يحيى) بالضحك وهو يخبط يده على قدمه من تلك الدعابة قائلا:

- مراتي أه معلـ.

تقاطعه (مي) بحسن نية فهي لا تعرف شيئا عن (يحيى) ولا تعرف أن زوجها يمرر تلك الدعابة فقط ليفتح ذلك الموضوع أمامها وقالت:

- أه صحيح مجبتش المدام معاك ليه ولا أنت بتحب تخرج من غيرها دايما؟

يضحك (مجدي) بصوت مرتفع ويضرب كفا على كف قائلا:

- مـرات مـين أنـت صـدقتي دا هيمـوت كـدا مـش هيشـوف الجـواز دا خالص..

تضـحك (مـي) هـي الأخـرى وتـرد وعينهـا تـدمع مـن تلـك الدعابـة التـي أطلقها زوجها:

- إيه دا انت بجد مش متجوز؟!

رد يحيى:

- لا والله لسه ملقيتش بنت الحلال اللي تملا عليا حياتي..

صمت الجميع لدقيقة ثم عاود (مجدي) الحديث مرة أخرى:

- طب أنا عندي ليك عروسة مش هتقدر ترفضها المرة دي..

يضحك (يحيى) قائلا:

- إيدي على كتفك بس هي مين دي؟

ينظر (مجدي) بخبث شديد ودهاء إلى زوجته (مي) قائلا:

- يا سيدي العروسة تبقى أخت المدام لو ناوي فعلا وعندك استعداد!!

بهدوء شديد قال (يحيى):

- دا شرف ليا والله أنا على استعداد.

تضحك (مي) وقلبها يخفق من الفرحة قائلة:

- إيه دا من غير حتى ما تاخدوا رأي العروسة! ولا رأيها مش مهم في الموضوع؟!

ضحك الجميع في وقت واحد ورد (يحيى) قائلا:

- رب صدفة خير من ألف ميعاد.. وأنا على ثقة باختيار صديقي والصراحة أنا كنت شوفت ليها بعض الصور معاكي انتي ومجدي بس مجاتش فرصة نتعرف بس دايما الصدف بتلعب لعبتها..

يبتسم (مجدي) بخفة ظل قائلا:

- انت عارف يا (يحيى) مافيش حاجة بتطلع من تحت إيدي غلط وعشان الكلمتين الحلوين دول نقرا الفاتحة بقى!

صمتت قليلا (مي) وفي نفسها أسئلة كثيرة وفي طياتها فرحة لا توصف.

أنها أخيرا سترى أختها عروسا وأنها لن تبقيها وحيدة بعد الآن.

وتكون قد كفرت بعض الشيء عن بعدها عنها في الفترة الماضية.

ولكنها تصر أن تظهر أن أختها قوية ولها رأي حتى لا تكون رخيصة في عيون (يحيى)..

وإذا بها تعود من صمتها:

- يعني هنقرا الفاتحة من غير ما ناخد رأي العروسة دا مينفعش خالص!

نظر إليها (مجدي) بتعجب شديد ومن ثم ركلها في قدميها دون أن يراه (يحيى) في إشارة منه لكي توافق..

تألمت قليلا (مي) من تلك الضربة ولكن الضربة أفاقتها قليلا من غفلتها.

وتذكرت أن أختها قد تخطت حاجز الثلاثين من عمرها فخشيت أن تضيع عليها تلك الفرصة التي لم ولن تعود! يجب أن تفوز (وعد) بتلك الفرصة العظيمة!

فضحكت فجأة دون أي مقدمات وقالت:

- احنا نقرا الفاتحة وربنا يقدم اللي فيه الخير..

رفع الجميع يدهم للأعلى وبدأوا في قراءة الفاتحة وشعر الجميع بالارتياح لما حدث..

(مجدي) ارتاح بعد أن مرر تلك الزواجة بدهاء التي لا أحد يعلم خفاها سواه..

فـ(مجدي) محامٍ شهير ولديه من الدهاء والذكاء ما يجعله يرتب للأمور بإتقان شديد ولا يتحرك نحو شيء ويكون على علم أنه من ورائه مكاسب عديدة، لا يكتفي أبدا من مهنته كمحامي، لديه علاقته وأساليبه التي دائما ما يقنع بها الآخرين..

وشعر (يحيى) هو الآخر بالراحة بعد الاشتراك في تلك الحيلة التي يرتب لها صديقه (مجدي) منذ فترة ليست بالقصيرة وأصبح على استعداد لتنفيذ أمر ما يخفىوعلى الجميع لا يعلمه أحد سواه..

فـ(يحيى) شاب تجاربة النسائية قد تخطت الحدود.

ولكن لم يتزوج حتى الآن رغم كل النساء التي تحيط به.

فبعض النساء يعتبرونه فارس أحلامهم نظرا لوسامته وشكله الجذاب.

والبعض الآخر يراه فرصة عظيمة نظرا لمكانتة المرموقة والتي يحظى بها بالتقرب من شخصيات مهمة في المجتمع.

بالإضافة إلى عمله كمدير إحدى أكبر شركات المقاولات الكبرى في الشرق الأوسط بالإضافة إلى ثرائه الفاحش الظاهر عليه..

و(مـي) شـعرت براحـة غريبـة تجـري فـي عروقهـا فـا كـل مـا تمنتـه أن يتحقق تحقق أمامها في بضع دقائق ليس أكتر..

(مي) هي الأخرى أرادت أن ترسم البسمة على شفاه أختها.

فهـي تعلـم جيدا كيـف عانـت (وعد) طيلـة السنوات الماضـية وانشـغالها الدائم بترتيب أمورهم بعدما توفي والديها.

فقـد كانـت لهـم السـند والعـون ولكـن سـرعان مـا تحـول ذلـك الـود إلـى الهروب من الواقع.

لقد خذلوها طيلة السنوات الماضية، لم تكن على قدر المسئولية وتركتها وحيدة خوفا من أن يطالهم كلام الناس..

ذهب (يحيى) بعد أن ألقى السلام عليهم وطالبهم بتحديد موعد للإعلان عن المقابلة الأولى..

وتحرك (مجدي) مع زوجته للذهاب للبيت..

وفي الطريق إذا ببعض الموسيقى الرومانسية في مذياع السيارة أشعلت الحماس في قلب (مي).

وبدأت تحرك أغاني المسجل إلى أن وصلت إلى أغنيتها المفضلة لعمرو دياب فبدأت تدندن مع الأغنية " تملي معاك.. معاك قلبي معاك روحي".

شعرت بدفء شديد في كف يدها حين جذبها (مجدي) واحتضن يدها بحنان.

تشعر أنها في حلم لا تريد الاستيقاظ منه.

جسده الدافئ ورائحة العطر الذي يضعه، لاحت لها أسنانه البيضاء لامعة حين اقترب منها ليقبلها.

هو يراها كالملائكة وهي تبتسم وتدندن مع الأغنية وبدأ يهدئ من سرعة قيادته والأنف والوجه يقترب مرة أخرى منها وهي تحدق في عينه في انتظار تلك الشهقة التي تخرج من بين ضلوعه السعادة وعن ضلتها في تلك القبلة.

وبعدما تذوق رائحة شفتيها بلطف كبير عادت بالاتكاء على صدره، تنظر له بحنان بالغة نظرات لم يرها (مجدي) في عيونها منذ أن تزوجا..

فعادت من جديد بالدندنة مع الأغاني:

- وماله لو ليلة توهنا بعيد وسيبنا كل الناس، أنا يا حبيبي حاسس بحب جديد، ماليني دا الإحساس "

تمسكت بيد (مجدي) وكأنها تمسك بزمام الدنيا وقالت:

- بحبك يا مجدي رغم ابتعادي عن روحي في الماضي.. بحبك لأنك لسه معايا هنا وهناك وفي كل مكان.. بحبك دايما لأنك الوحيد اللي فكرت ترسم البسمة لقلب مات من الوحدة.. بحبك.

ابتسم (مجدي) ابتسامة عريضة ومن ثم احتضن رأس (مي) وقربه من صدره وقبلها في هدوء شديد في مشهد أقرب إلى أفلام الرومانسية التي تدمع العيون ورد قائلا:

- ممكن مكونش الزوج اللي كنتي بتحلمي بيه ولكن انتي اللي كنت بحلم بيها دايما، مش محتاج شكر قد إني أشوف ابتسامتك دي منورة وشك.

كلمات أطلقها (مجدي) في حالة من الحب والعشق غير المسبوقة جعلته يتمتم بالكلمات التي تجعله يتقمص دور البطل المغوار وفارس الأحلام لحبيبته..

تشعر (مي) أنها بعالم آخر بعد سماع تلك الكلمات التي جعلت قلبها يخفق من شدة الفرح.

وأمسكت بيد (مجدي) وقالت:

- اقف هنا خلينا نعيد شريط ذكرياتنا اللي بدأت من هنا.

وبالفعل بدأ (مجدي) بتخفيف السرعة شيئًا فشيئا إلى أن توقف بالسيارة على جانب أحد الحدائق الشهيرة بمدينة العين بالإمارات..

فهم يعيشون بها منذ فترة طويلة بعدما تزوجا وقررا العيش بالخارج بعيدا عن مشاكل (وعد) التي قد اكتسبت مكانا بحياتهم...

مازلت مشاهد الرومانسية تضغى على أفعال (مجدي) الليلة فبعد أن توقف بالسيارة هم مسرعا ليفتح باب السيارة بنفسه لزوجته وانحنى لها حتى ترجلت إلى خارج السيارة بخفة ظلها المعتادة..

ومن ثم التحرك مشيا على الأقدام ليكونا هنا في ذلك المكان الذي اجتمعا فيه عندما خطت رحالهم إلى هنا وفي هذه الحديقة وهذا السور هو شاهد على الماضي بكل ما فيه..

جلسا في صمت شديد ينظران إلى بعضهم البعض كل منهما لديه كلام مخبأ خلف لسانه يخشون على تلك اللحظة أن تفقد بريقها..

بدأت (مي) في الحديث أخيرا:

- فاكر يا (مجدي) ازاي اتقابلنا أول مرة؟

ضحك (مجدي) مازحا وقال:

- ودي حاجة تتنسي..

بدأت (مي) في الحديث وكأنها تريد سرد تلك الذكريات على (مجدي) من جديد فتلك كانت أجمل أيام عاشوها فيما مضى من عمرهم..

- أحكي يا (مجدي)!؟

سؤال طرحتة (مي) بعفوية شديدة..

(مجدي) ضاحكا:

- احكي يا شهرزاد..

أغمضت (مي) عينها قليلا ومن ثم:

- بدأ الأمر بنظرات إعجاب كانت تخفي خلفها مشاعر جياشة لكليهما.

ولكنها كانت خائفة من خوض تلك التجربة نظرا لما كانت تمر به (وعد) وقتها.

بدأ الأمر يجتاح قلبيهما معا وتعلقا ببعضهما البعض وتحولت نظرات الإعجاب إلى واقع ملموس.

تتذكر جيدا.. كانت تتحجج لكي تراه بين الحين والآخر، كانت أخته بمثابة صديقتها كانوا لا يبالون وقتها بالدروس والمذاكرة وما شابه ولكنها اهتمت بها كثيرا لتكون بجواره كل يوم وتراه هناك.

وكان هو بدوره يعطي لهم النصائح فكان (مجدي) يكبرهم سنا وقامة وقتها، كان عمره مازال صغيرا بعض الشيء ولكنه كان متفوق دارسيا وعلميا.

كانت ترى أحلامه دائما في عينه بمجرد النظر إليها، كانت تراه من البداية ذلك المحامي الشهير وكانت هي في عينه مجرد طفلة تداعبه ببعض كلمات الغزل والحب.

نعم كانت طفلته المدللة التي آمنت بوجوده وأنه سيصبح محاميا شهيرا يوما ما.

إلى أن حان الوقت والموعد، يومها لا تستطيع أن تنسى تلك النظرة الحنونة التي وجدتها عليه عندما طلب منها أن تكون بجواره للأبد وكان ينتظر ردا مقنعا منها.

فأي رد يكون مقنعا! فقد انهارت قوى المشاعر أمامه في بضع لحظات وأصبحت خاوية من كل شيء إلا حبه الذي سكن جوارحها.

لم يخف ولم ييأس فقط تحرك للإعلان عن خطبته منها حتى لا يكون الأمر في الخفاء، وقد مر الوقت ولا تستطيع أن تنسى أي مشهد مما سبق.

تزوجها وامتلك وقتها مكتب محاماة خاص به بعدما كان يتدرب في مكتب محاماة شهير يضم نخبة من المحامين المميزين والذي كان يمتلكه رجل أعمال ثري.

وقتها ازداد الأمر سوءا عندما شعرت أن كلام الناس لا يريد بهم خيرا.

فقد كانت الناس ترميهم بتلك الكلمات جزافا بعبارات تهز من كيانهما معا، منهم من قال إن "أختها ستبقى على حالها"، منهم من شكك في أمرها وإلى ما لا نهاية.

خشيت هي عليه وقتها أن تمسه تلك الحماقات، أرادت أن تبعد عن كل ما يعكر صفو حياتهما لتستمر كما كانت في نجاح مستمر.

ومع مرور الأيام جاءت البشرى بأول مولود، مولود أتى ومعه الكثير من الخير لهما، فبعدها بأيام قليلة أتت لـ(مجدي) منحة مدفوعة الأجر

للسفر لدولة الإمارات لاكتساب المزيد من الخبرات في مجال المحاماة وحقوق الإنسان.

جاءت تلك السفرية في الوقت المناسب فقد كانت تخشى عليه أن يمسه أي شيء يتعلق بتلك الحماقات التي تلقى جزافا بسبب أختها (وعد).

وقتها لم تستطع أن تودع (وعد) بالطريقة المناسبة فقد كانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير.

ستبتعد هي الأخرى عن حياتها وتهرب من مشاكلها كما هرب أخوها الأصغر بعد زواجه مباشرة، وها هي الآن تحاول بشتى الطرق أن تعيد الابتسامة بعض الشيء لـ(وعد) فهي لم تعرف طعم الفرح منذ أن فارقها الجميع.

جاء الوقت لتستعيد تلك الذكريات وتتذكر معه كيف كانوا قاسين عليها فهي من باركت تلك الزيجة من البداية.

رغم أنها كانت تعلم أنها ستبقى وحيدة للأبد ولكنها أرادت أن تراهم سعداء بعيدا عن كل ما يحدث لها، كانت لا تريد أن تثقل عليهم وتشعرهم بما تشعر به من حالة الوحدة التي سيطرت على حياتها.

بعدما قامت (مي) بتذكر تفاصيل تلك الذكريات وبعفوية شديدة أمسكت بالهاتف لتحدث (وعد) وتفرح قلبها قليلا وتعرف قرارها في تلك الزيجة التي قد تكون طوق النجاة لها.

في الجهة المقابلة كانت تجلس (وعد) أمام التلفاز تشاهد فيلما وتضحك عليه من كل قلبها وهي تتكئ على وسادة وتحمل نصف ابتسامة ترسم على شفتيها.

فمع مرور الوقت كانت قد اعتادت على الجلوس بالساعات أمام شاشات التلفاز ليكون هو خير رفيق لها في وحدتها بعدما فارقها الجميع..

وإذا بهاتفها يصيح وهي لا تبالي بمن يتصل.

وبعد محاولات عديدة فضلت (وعد) أن تكشف عن اسم المتصل.

وإذا بذلك الرقم الكبير بعض الشيء والذي تحدثها عليه أختها من حين إلى آخر للاطمئان عليها يعلن عن وجوده على شاشة هاتفها.

ردت (وعد) بالهدوء المعتادة عليه:

- ألو..

هتفت (مي) بفرحة عارمة تظهر في نبرة صوتها:

- عندي ليكي خبر حلو بس يا رب يكون من نصيبك..

يزداد الشغف في قلب (وعد) فهي لم تسمع بخبر جميل منذ فترة وتسأل:

- خبر إيه**!؟**

ترد (مي) والابتسامة تملأ جنبات وجهها قائلة:

- عندي ليكي عريس حزري فزري يبقى مين؟

سمعت (وعد) بتلك الكلمات وقد انهارت قواها الداخلية في البحث عن ذاك الرجل الذي يشعرها بأنوثتها ويكون هو السند والأمان لها في الحياة.

لا يهمها من هو كل ما يهمها ما في الأمر أن يراعي الله بها وتجد فيه ضالتها التي غابت عنها طيلة تلك السنوات الماضية..

بعد تفكير قد طال وصمت خيم على المكالمة لدقائق أكملت حديثها (مي) وقالت:

- إيه يا (وعد) مش بتردي ليه مش عايزة تعرفي مين العريس**!؟**

ترد (وعد) وقلبها يرقص فرحا بهذا الخبر:

- مين ها مين**!؟**

تداعبها (مي) وهي محتفظة بهدوئها:

- مش هقولك!

تنزعج (وعد) من ردت فعلها فقلبها متشوق للغاية للقاء ذلك الرجل وردت عليها في غضب:

- ما تقولي يا بنتي مين ولا أقفل الخط!

ردت عليها (مي) بسرعة وتلهف خوفا من تنفيذ تهديدها:

- إيه يا بنتي انتي الواحد ميعرفش يهزر معاكي ولا إيه!

على العموم يا ستي اسمه (يحيى) وهو صاحب (مجدي) جوزي ومدير شركة مقاولات كبيرة وعايش هنا في الإمارات وشاف صور ليكي زي ما بيقول وعايز يحدد معاد لو انتي موافقة عشان تتقابلوا وبعدها نحدد معاد للخطوبة ها رأيك إيه!؟

في تلك اللحظات زادت ضربات قلب (وعد) بشدة وقالت بلهفة وشوق غير مسبوقين:

- موافقة أه موافقة..

الاطمئنان يدخل إلى قلب (مي) شيئا فشيئا فقد أزاحت هما طالما حلمت أن يزال، وأن ترى أختها في أفضل حال، وردت قائلة:

- مبروك يا حبيبتي هكلمك تاني نحدد معاد المقابلة الأولى ومن بعدها الخطوبة في أقرب فرصة عشان نتجمع من تاني وأنا هحاول أوصل لمصطفى أخوكي عشان أكلمه وأعرفه بالتفاصيل عشان نتجمع زي زمان في بيت بابا وماما..

وبعد ذكر (مي) لوالديها انهارت (وعد) من البكاء، فقط أرادت أن يكونا موجودين شاهدين على تلك الزيجة والمباركة لها..

سمعت (مي) صوت بكاء (وعد) وقالت بصوت حزين خافت:

- انتي بتعيطي ليه دلوقتي المفروض تكوني أسعد واحدة في الدنيا..!

قريب هيبقى ليكي زوج تتباهي بيه قدام الناس كلها وطفل قريب شايلاه على إيدك يكبر قدامك زي ما احنا كبرنا على إيدك..

بعد تلك الكلمات المفرحة التي قالتها (مي) شعرت (وعد) بتحسن حالتها وابتسمت أخيرا:

- الحمد لله لقد عوضني الله خيرا عما فاتني في هذه الحياة أتمنى أن يتم الموضوع كما هو مرتب له على خير..

أغلقت الخط أخيرا بعد تلك المكالمة التي جعلتها تنبض بالحياة من جديد بعدما كادت أن تفقد الأمل بها.

- فرحانة؟

سؤال وجهته الدكتورة (سعاد) إلى (وعد)..

(وعد) مع ابتسامة عريضة على وجهها للمرة الأولى منذ بدأت الجلسة قالت بصوت حنون:

- فرحانة دي كلمة بسيطة للي حسيت بيه وقتها.

عارفة يعني إيه روحك تترد ليكي تاني بعد ما كانت بتتسحب منك يوم ورا التاني وانتي عارفة إن خلاص حظك في الدنيا كدا.

عارفة يعني إيه حب يا دكتورة؟!

الحب حياة لا نستطيع العيش بدونه، فهو يُخفّف عنّا مصاعب ومتاعب الدنيا، يُنير حياتنا بابتسامة مُشرقة كلّما تذكرنا من هم بداخل قلوبنا، فمهما حاولنا إخفاء هذا الشّعورأو التّجاوز عنه فإنّنا لا نستطيع لأنّه نابع من الدّاخل..

ما تطلبُه المَرأة الآن ليسَ فارسا كما نعتقِد نحنُ، ولا رجُلا يوّفِر لها كُل شِيء كما يقوُل شكسبير، ولا جِدارا تتكئ عليه كما تقوُل أمثالُنا، هِيَ قادِرة عَلى كُل شِيء بنفسِها بلا فارِس وبلا رجُل، لكنّها غِير قادِرَة عَلى أن تُحِب وَحدَها، الحُبّ قانوُن يربِطها مَع هَذا الرّجُل، فارسا كانَ أو

طِفلا، غِذاء المَرأة هو الحبّ وليس المال، الحب وحده هو السند والفارس وكل شيء يأتي بعده فقط عندما تشعرين بذاتك وبأنك أصبح فجأة الحب يمر بين عروقك متمثل في إنسان يشعرك بكل شيء تحتاجينه كأنثى، هذا ما تريده المَرأة لا أكثَر..

- وحسيتي بإيه وقتها؟

سؤال آخر تمرره الدكتورة (سعاد) لتعرف تفاصيل أكثر..

بدأت عيون (وعد) تلمع قليلا وكأنها تعيد ذلك لشعور لذهنها وحاضرها الآن..

تحركت من على ذلك الكرسي المائل ووقفت وبدأت بالتحرك والدوران بحرية شديدة.

بدأت تعيش تلك الحالة التي سيطرت عليها آنذاك في وقتها وبخفة ظل بدأت تتراقص وتتذكر كيف كان شعورها وقتها..

جلست بعدما شعرت ببعض الإرهاق بعد وصلة رقص متواصلة استمرت لدقائق عادت بها بالماضي، جلست ونظرت بحنان كبير للدكتورة (سعاد) وقالت:

- دا كان إحساسي وقتها مقدرتش أحدد ردة فعلي وقتها من الفرحة..

ولكن كانت حركات تتدفق من نبضات قلبي المتلهفة على ذلك اللقاء الذي طال انتظاره، كان لا يهمني من هو أو مواصفات شكله أو عمله.

أردت فقط أن أكون سعيدة فلم أسأل على تلك التفاصيل خوفا من أي صدمة توقف تلك الفرحة العارمة بقلبي.

ـ خايفة؟

طالت الأسئلة هذه المرة على (وعد) في وقت قصير ولكنها مضطرة للإجابة لتساعد نفسها أكثر للتخلص من تلك الهموم المتراكمة.

فأجابت بعد لحظة صمت انتابتها وقالت:

ـ الخوف يصبح شعورا قاتلا إن تملكنا بكل شيء.

فلابد من الخوف على أن تفقد شيئا جاء بعد طول انتظار، الخوف مع مرور الوقت يقتل مشاعرك أحيانا وأحيانا يقويها..

توقفت (وعد) فجأة وتحركت من مكانها وكأنها ستلقي عليها خطابا وبدأت بالحديث من جديد بلهجة أكثر وعيا وقالت:

- الحب هو الأمان فكيف لنا أن نخافه! هل ينبعث الخوف من الحب نفسه، أم من الشخص الذي نحبه؟

أنا باعتقادي أن الخوف ينبع من الشخص الذي نحبه، وليس من الحب نفسه، لأن الحب أسمى وأرق من أن نخافه لكن الأشخاص هم وحدهم مصدر الخوف.

لكنني أخشى النهايات دوما!

فأنا امرأة اعتادت دائما أن تفقد أي شيء تحبه.

نحن عادة نستطيع أن نكبح جماح العاطفة في البدء، لكننا نعجز عنه في النهاية وهذا ما يجعلني أخاف كثيرا.

فنحن دائما نخاف النهايات قبل البدء بالبدايات، نخاف أن نخسر شيئا قد أحببناه فلذلك لا نحب التورط بالحب لكي لا ننصدم بالنهاية.

صمتت (وعد) فجأة ولم تكمل كلامها وبدأت الدموع تتساقط على وجنتيها أمام تلك العبارات التي أخرجتها من قلبها..

تمسك الدكتورة (سعاد) بمنديل ورقي وتقدمه لها حتى تهدأ وتزيل دموعها التي غطت ملامح وجهها وهي تتحدث.

- خلينا نقف لحد كدا النهاردة ونقدر نكمل بكرة من تاني..

ظهرت على (وعد) بعض من ملامح الإرهاق والتأثر بالماضي لذلك أردت أن تنهي سرد الحقائق اليوم وتكتفي بما قالت..

وها هي الدكتورة (سعاد) تستعد للرحيل ولملمت الأوراق لتذهب.

بدأت في التحرك دون أن تهمس ولو بحرف واحد وكأنها غاضبة بعض الشيء كانت تريد أن تنهي تلك القصة اليوم بكافة تفاصيلها لتستطيع أن تحدد نوع المرض النفسي الذي تعاني منه (وعد).

ولكن (وعد) فضلت المكوث حتى إشعار آخر لتكملة ما بدأته من سرد للحقائق...

وقبل أن تغادر الدكتورة (سعاد) ألقت التحية على (وعد) وطلبت منها بالذهاب هي الأخرى لتستريح حتى الغد لبدء جلسة علاج جديدة تكشف فيه عن حقائق أخرى لها..

ولكن سرعان ما كان رد (وعد) القاطع عندما طالبتها الدكتورة (سعاد) بالرحيل:

- أنا اتعودت على الضلمة بتخبي جروحنا وبقدر أتعايش معاها أنا هنا وهبقى هنا.. لن أغادر إلى أي مكان قبل أن أتخلص من تلك الحالة التي تسيطر عليّ وسرد حقائق قد تساعد على تحسن حالتي في المستقبل القريب.

فلا تشغلي بالك بمكان تواجدي سأبقى حيث أنا!

تركت الدكتورة (سعاد) حرية الاختيار لها لتبقى كما تريد، هنا تخبئ جروحها خلف ستائر العتمة، تعتقد أن الظلام هو ما يخبئ بين طياته همومها، لا تعرف أن تلك الجروح تظهر على وجهها بمجرد أن تتحدث.

تركتها وتركت خلفها العديد من التساؤلات التي ستجيب عنها الساعات القليلة القادمة، فلا داعي للاستعجال كل شيء سيكشف ويزيح معه الستار عن أحداث الماضي المؤلمة وعن ذلك المرض الذي تعاني منه (وعد) لتساعدها للتخلص منه في أقرب وقت ممكن.

ذهبت أخيرا الدكتورة (سعاد) وبقيت (وعد) كما هي بمكانها، اكتفت بأن تجلس بجوار تلك الأباجورة التي تضيء لها تلك الغرفة المظلمة.

وتخرج من درج المكتب قلما وبضعة أوراق لكي تسجل عليها تفاصيل ما حدث في جلسة اليوم، فهي تعودت في الأيام والأسابيع الماضية أن تسجل كل ما دار من خلال الجلسة لتعرف ما انتهت عليه الجلسة لتكمل بعدها سرد الحقائق بدقة شديدة.

أمسكت بالقلم ويدها ترتعش بشدة بالغة وبدأت تكتب:

ـ اليوم العاشر من فبراير للعام الأول بعد الألف..

قد بدأت ملامح الحقيقة تظهر بعض منها..

شعرت اليوم وأنا جالسة على مقربة من الدكتورة (سعاد) أنني في تحقيق ما.

شعرت أنني مطالبة بكشف كل كبيرة وصغيرة وكأن شيئا ما سيئ ينتظرني لو لم أكشف تلك الحقائق بدقة شديدة.

نعم أنا لم أكشف كل الحقيقة اليوم واكتفيت بسرد بعض النقاط التي كانت سببا لما وصلت إليه الآن، بعض من الحقيقة يعطيك الشعور بالارتياح ولو قليلا.

لم أستطع أن أذكر أحدا بسوء رغم كل ما مررت به بالماضي وقد يكون هذا هو المرض بعينه، فما ستكشفه الجلسات القادمة يعد هو حجر الأساس في مرضي.

أعلم أنني مريضة ولكن بشكل يصعب عليّ أن أصدقه.

ها أنا مطالبة في كل جلسة تجمعني بالدكتورة (سعاد) أن أحكي بعضا من الحقيقة.

هي تريد الحقيقة كاملة مرة واحدة ولكن من الصعب سرد تلك الحقائق تباعا.. يجب أن نمهد لكل شيء فلم يعد بوسعي أن أتحمل أو أتذكر تلك المشاهد واعيد ترتيب الأمور من جديد وكأن شيئا لم يحدث!!

أبدأ من جديد سرد تلك المشاهد في نمطية شديدة وكأنني أعيشها من جديد فيصبح الأمر يعاد وأشاهده يمر أمامي كشريط فيديو.

وأنا لم أعد أستطيع أن أتحمل تلك الأصوات التي تدور في رأسي.

أصوات تعيد لذهني الماضي بكل ما يحمله من ألم.

مخطئون فيما قالوه عن الماضي، لقد تعلمت كيف أدفنه، إلا أنه دائما يجد طريق عودته، يطاردني أينما ذهبت يريد أن يعود وتعود معه تلك المشاهد من جديد.

شيء تّعجز يد النسيان أن تطاله.

كان التظاهر بالنسيان يكفي لطمس معالم الماضي ولكن سرعان ما تعود إلى حقيقتك وتعلم أنك متذكر كل شيء ولا تستطيع أن تخفيه.

فالماضي لا يموت.. إنه يُبعث في الحاضر بألف صورة وصورة.

مشاهد كنت أريد أن أطمسها للأبد ولكن لابد منها لتخرج للنور ويخرج معها جسدي المنهك بشدة من آثار تلك الفاجعة التي لم تكشف بعد في جلساتي.

أُريد أن أُغمض عيني عن الماضي وأنسى، أنا بخير، أَفضل من أَي وقتٍ مضى. لكني أُعاني من ذاكرةٍ لا تكُّف عن العبثِ بتفاصيل الماضي، ويَبقى شيءٌ من عَبق الماضي عالقٌ بي رُغم الزَمن، شيء تَعجز يَد النسيان أن تطاله.

توقفت (وعد) عن الكتابة فجأة بعدما شعرت بقلبها يرتجف بشدة من تلك الصور التي تمر أمامها من جديد.

قررت أن تتوقف للحظات، لقد حسمت الأمر، لا مفر من كشف كل شيء دار في الماضي، ها هي مستعدة لتكون هنا وعلى بعد خطوات قليلة من كشف كل شيء حدث بالماضي، تتلهف شوقا أن تمر الساعات لتعود الدكتورة (سعاد) إلى مكانها الطبيعي وتعاود هي الأخرى سرد تلك المشاهد الفاصلة في حياتها أمامها.

كتبت تلك الكلمات الأخيرة على تلك الأوراق التي سطرتها وبدأت يدها ترتجف بشدة بالغة كان سببا في إسقاط القلم من يدها على الأرض.

تضع يدها الأخرى على قلبها لتستشعر نبضات قلبها وتطمئن أنها مازالت على قيد الحياة وأنها لم تمت قبل أن تحكي حقيقة ما جرى.

بدأت المكوث على ركبتيها من شدة التعب والألم المصاحب لها يزداد كاللهب يحرق في جسدها.

ومن ثم ارتطم جسدها بالأرض مرة واحدة وسقطت وسقطت معها تلك الأوراق التي دونت فيها كل ما دار في جلسة اليوم وكل ما تتمنى أن يدور في الجلسات القادمة..

الحقيقة التي أيقنت أنها يجب أن تخرج إلى النور أخيرا.

كانت الخطوط البيضاء في سقف الغرفة تومض وتختفي عن ناظريها بسرعة.

بدأت كلمات تهمس في أذنها، تشعر أن أحدا ما يحدثها ولكن مازال جسدها المنهك ملقى على الأرض من شدة التعب.

ترى أمامها طفلة مدللة تشبهها كثيرا وقد مزق فستانها بشدة.. وبدأت تدور بنظرها والخوف يسيطر عليها من هول ما تراه وكأنها ترى

أشباحا من حولها في الغرفة، وساد المكان الصمت وخارت قواها وأغمضت عينيها في وهن شديد.

الفصل الثاني

"المقابلة الأولى"

حين أنظر إلى نفسي كأني أرى نورا من الإيمان العابق

وأنفاسا ذات رائحة شذية كرائحة المسك

وحين أستشعر جسدي وألمسه أرتجف حزنا.

<u>ومن هنا يبدأ شغفك فتابع للنهاية لا تفقد تركيزك..</u>

ـ فاكرة المقابلة الأولى؟

ذلك السؤال الذي طرح نفسه من صوت لا تعلم مصدره ألقى تلك الكلمات على سمعها وهي مازلت منهكة بشدة تعتقد أنها تحلم..

ولكن أمرا ما جعلها تتذكر تلك الأحداث وهي مغمضة العينين كأنها في حلم وترى كل شيء بوضوح !!

ومازال جسدها المنهك ملقى على الأرض وهي ترى وتتذكر أخيرا كيف كان اللقاء الأولى الذي جمعها بـ(يحيى)..

قبل ذلك اللقاء المنتظر بدأت العلاقة تتطور يوما تلو الآخر مع (يحيى) وبدأ بالتقرب منها شيئا فشيئا.

بدأ الأمر بتلك المكالمات الغرامية التي طالما حلمت بها (وعد) فكان دائما يغمرها بكلمات العشق والحب التي تجعلها تذوب فيه يوما بعد يوم.

فطارت من السعادة عندما حدثها (يحيى) للترتيب للقاء الأول الذي سيجمعهما.

فطالما حلمت بهذه اللحظة وبهذا اللقاء المنتظر.

ومنذ هذه اللحظة بدأت (وعد) بالوثوق بـ(يحيى) ثقة عمياء.

فأصبح هو كل حياتها ومستقبلها التي تحلم بأن تكون معه..

بدأت الأحلام تتطاير في رأس (وعد).

الحب والبيت والأسرة والأطفال. كلها أحلام كانت تدور في ذهنها يوما بعد يوم.

كانت حقا متألقة بجمالها في ذلك اليوم بشكل مثير للغاية.

فعيناها الزرقاء الصافية كنقاء لون البحر مع شعرها الحريري اللامع المنسدل حتى وسط ظهرها والوجه ذو البشرة السمراء المنمق بالنمش على وجنتيها يعطي لها جمالا وسحرا آخر.

فكانت فكرة الظهور الأنثوي المميز لها في ذلك اليوم مسيطرة عليها تماما.

فكانت فكرة الحب والحلم بشيء ينتشلها من الوحدة للاحتواء الذي قد غاب عنها طيلة تلك السنوات الماضية فكرة طاغية عليها.

(يحيى) هو الآخر كان متألقا بشكل ملفت للنظر فكان يرتدي أحدث صيحات الموضة نظرا لوسامته.

كان يرتدي بذلة تشعر أنها فصلت خصيصا له ويضع العطر المميز به الذي بدوره يعطي البريق اللامع والمظهر المثالي له.

مع الاحتفاظ بتسريحة شعره القديمة نوعا ما ولكنها كانت تليق به كثيرا ويرى نفسه بها دائما.

فـ(يحيى) كان دائما ما يميل بشعره إلى الجانب الأيسر وكأنه يشبه قصة شعر العندليب عبد الحليم حافظ.

ذلك اللقاء الذي رتب له (مجدي) بحرفية شديدة بعدما تقبلت (وعد) فكرة الارتباط الذي غاب عنها.

واختيار المكان كان من ترتيب (مي) التي أرادت أن يكون ذلك اللقاء لقاء مميزا ورمانسيا بطبعه.

فاختارت أن يكون مكان ذلك اللقاء على يخت فاخر يمتلكه (يحيى) في إحدى مراسي المعادي ليكون ذلك اللقاء وسط مياه النيل العاذبة والمشاهد الطبيعية والتي من دورها أن تضيف لمحة جمال ورومانسية على هذا اللقاء..

ومن هنا أتى اللقاء وبدأت المقابلة الأولى في التو واللحظة.

تتصل (وعد) بأختها التي كان من المفترض أن تحضر للقاهرة رفقة زوجها (مجدي) ليكونا حاضرين ذلك اللقاء.

ولكن (مجدي) أقنع (مي) بعدم التواجد ليستمتع (يحيى) و(وعد) بلقائهما الأول.

كان هذا اقتراح (مجدي) ووافقت عليه (مي) في الحال دون أن تعرف ما يخطط له زوجها من وراء ذلك اللقاء.

مازلت (وعد) تضع الهاتف على أذنها ولكن أختها لا ترد على المكالمة مرارا وتكرارا..

قلقت (وعد) بعض الشيء من ذلك اللقاء وفكرت جديا أن تعود أدارجها.

ولكن فكرة الاشتياق للقاء الأول الذي سيجمعها بـ(يحيى) كانت تسيطر عليها وكانت لها الغلبة في التأثير على قرار (وعد) بتكملة تلك الرحلة..

إلى أن وصلت أخيرا إلى مكان اللقاء بمرسى نيل بمنطقة المعادي حيث اليخت الذي ستقابل عليه (يحيى) للمرة الأولى لها.

وبدأت بالترجل والمضي قدما نحو ذلك اليخت..

وضربات قلبها تخفق بشدة ولكنها مازلت متمسكة بآخر أمل قد يكون لها للخروج من وحدتها التي تسيطر عليها..

ذلك الفستان الأنيق للغاية الذي ترتديه (وعد) جعل منها ملكة وهي تمشي والهواء يزيحه من على جسدها المشدود الأنثوي الجميل.

وأخيرا وصلت (وعد) إلى ذلك اليخت ووجدت (يحيى) ذلك الشاب الوسيم في انتظارها..

(يحيى) رفع يده للأعلى وإذا بفرقة موسيقية تخرج للتواجد باليخت وكأنها خرجت من العدم في مفاجأة لها وكأنها إشارة منه لبدء حفل استقبال حبيبته.

لم تشعر (وعد) إلا وجسدها يتراقص على أنغام تلك الموسيقي الرومانسية الرائعة التي تعزفها الفرقة وتنشد ألحانها وسط تمايل المياه على ضفاف النيل على ذلك المرسي.

جعلت نفسها كالهواء الطلق لم تشعر بما تفعل فقط أرادت أن تعيش تلك اللحظات التي قد تكون غابت عنها في الماضي..

كانت (وعد) لا تكف عن التحرك برشاقة هنا وهناك وهي بين يده تعيش حلما جميلا لا تريد الاستيقاظ منه للأبد، ووجهها المستدير يحمل ابتسامة حنونة، ويحمل تفاصيل كثيرة ما بين الفرحة العارمة التي اجتاحت قلبها وما بين الخوف والقلق أن ينتهي ذلك الحلم الرائع التي تعيش به الآن.

بدأ (يحيى) بالإمساك بيد (وعد) والرقص معها على تلك الألحان التي بدورها بثت روح الحب والألفة في قلب (وعد) منذ الوهلة الأولى من ذلك اللقاء.

بدأ جسدها بالارتجاف عندما اقترب منها (يحيى) واحتضن جسدها اللين بحنان بالغ لم تشعر به من قبل.

أخذ قلبها يرفرف من السعادة وسرعان ما غادرت الفرقة الموسيقية اليخت بعد وصلة رقص مع (يحيى) استمرت لدقائق.

وبعدما غادرت الفرقة الموسيقية بدأ اليخت بالتحرك لوسط النيل حيث المناظر الخلابة التي دائما ما تصنع الفارق لتلك اللحظات..

(يحيى) يمسك بيد (وعد) وقسمات السعادة تكاد تقفز من وجهها، فقبلها (يحيى) على وجنتيها قائلا بابتسامة يملؤها الكثير من المرح:

- أيعقل أن تكوني بكل هذا الجمال وتختبئين خلف أسوار بيتك وحجراته.

نظرت (وعد) إليه بخجل شديد وقلبها يرفرف من السعادة بتلك الكلمات وقالت:

- إيه دا دا انت طلعت شاعر الكلام دا ليا!؟

رد (يحيى) عليها بحنان وعينين يملؤهما الحب قائلا:

- لو بقيت شاعر فا دا بسببك ولو الكلام مش موفي حقك يبقى حقك عليا.

(وعد) لا تصدق تلك الكلمات التي تنالها فهي في مثل هذا العمر لم تسمع تلك الكلمات من قبل وكأن الحياة تعطي لها بارقة أمل من جديد.

لم تعرف كيف ترد على تلك الكلمات الجميلة التي بدورها حركت مشاعرها التي كادت أن تموت ففضلت الصمت مع نظرات وابتسامة عريضة على وجهها..

وإذا بدوره (يحيى) يتقمص دور روميو ويقدم لها خاتم الزواج في مشهد أقرب إلى أفلام هوليوود الرومانسية الرائعة..

وإذا به يركع على ركبته ويقدم لها خاتم الزواج في مشهد لم تكن تتوقعه (وعد) على الإطلاق.

اتسعت عيناها من ذلك التصرف وكأنها تعيش أحداث حلم جميل لا تريد الاستيقاظ منه لآخر العمر.

وشعرت أن قلبها طائر جميل يحلق فوق سماء الحب واتسعت عيناها من الدموع ولكن هذه المرة كانت دموع الفرحة.

بدأت هي الأخرى بمد يدها ليضع به الخاتم..

ومن ثم قبل (يحيى) يدها في حب كبير وإلى هذا الحد كانت الأمور تسير بشكل طبيعي!

(وعد) لم تصدق أنها تعيش تلك اللحظات، لا تصدق نفسها حقا، أيمكن أن تكون هنا أمام ذلك الشاب الوسيم الذي يعاملها بكل حب وإخلاص؟!

أيمكن أن تكون الأحلام قد تحققت في يوم واحد بل في بضع دقائق!

وبعد تلك المشاهد الرومنسية التي كانت تطغى على اللقاء الأول لهما بدأ (يحيى) بالتقرب من (وعد) إلى أن أصبح قريبا منها للغاية لا يفصله عنها سوى تلك الملابس التي يرتدونها.

(وعد) أطلقت العنان لجسدها بعدما تقرب منها (يحيى) ولكنها فضلت أن تظهر قوية بعض الشيء وقالت في تذمر:

- ايه دا يا (يحيى) هو فين صحيح (مي) و(مجدي) مفروض كانوا يبقوا حاضرين معانا النهاردة!

- الصراحة هما مجوش أساسا من الإمارات هما فضلوا يبقى اللقاء الأول بنا من غيرهم.

تلاشى ذلك التذمر من على وجه (وعد) بعدما قبلها مرة أخرى (يحيى).

تلك القبلة التي أنستها أختها وأرادت أن تعيش تلك اللحظات خشية ألا تعوض من جديد.

فعادت وابتسمت وكأن شيئا لم يحدث.

وعادت للحديث بمرح شديد وقالت في حب وحنان:

- تعرف يا (يحيى) من زمان نفسي أترمي في حضن راجل يخاف عليا ويحبني كدا.

تلك الكلمات العابرة التي قالتها (وعد) دون أن تقصد شيئا فقط أردت أن تتحدث بحسن نية وليس في حسبانها أي شيء يخالف النسق العام بعدما وثقت في (يحيى).

ولكن (يحيى) استغل تلك الكلمات وسهلت الأمر عليه بعض الشيء لارتكاب ما كان يرتب له منذ اللحظة الأولى.

وإذا به (يحيى) يقدم لها مشروب ووضع به بعض حبات المنوم ليبدأ لعبته التي رتب لها مع صديقه (مجدي) زوج أختها.

وقدمه لها بصوته الحنون والمخادع:

- اتفضلي العصير..

وقدم لنفسه نوعا فاخرا من أرقى أنواع الخمور وتذوقه بتلذذ شديد.

أمسكت (وعد) بذلك الكأس دون تردد فهي لا تعرف ما يدور حول الكواليس، وبدأت ملامح الإرهاق والتعب تظهر عليها وبدأ مفعول تلك الأقراص يجري في دمائها.

استلقت (وعد) بتلقائية شديدة على ظهرها وأغمضت عينها وأصابتها رجفة، ونظرت للسماء والنجوم تتلألأ بها ودار بها المكان واستسلمت لنوم عميق.

مما سهل الأمر على (يحيى) لحملها إلى غرفة في ذلك اليخت وبدأ بتثبيت كاميرا لتسجيل تلك الواقعة بدقة متناهية.

تلاشت من ملامح (يحيى) نظرات الغرام الزائف وظهر لأول مرة على حقيقته.

هذه الحقيقة المؤلمة التي لم تخطر على بال (وعد) مطلقا..

فبدأ (يحيى) ذلك العمل القذر بشد فتحة عنقها لتظهر حمالة صدرها التي تكتسي باللون الأحمر.

ومن ثم قام بشد جانب الفستان التي كانت ترتديه فانقطع موضحا جزءًا كبيرا من جسدها اللامع..

فبدأ يتذوق من جسدها قطعة تلو الأخرى فتفنن في اغتصابها وكأنه شيء يرتب له وليس حبا في الجنس أو لإفراغ شهوة ما..

في تلك اللحظات أفاقت (وعد) بعض الشيء ولكنها غير مدركة ما يحدث.

كانت تنظر له باشتياق شديد فلم تستطع أن تسيطر على مشاعرها المكبوتة وغرائزها الجامحة ومع مفعول ذلك المنوم جعلها تطلق العنان لجسدها.

ارتعشت قليلا من تلك اللمسات التي تشعر بها جراء ما يقوم به (يحيى) لتنظر إليه مرة أخرى نظرة تحرقها من الداخل من فرط الاشتياق.

فأغمضت عينيها وهي تشعر بشدة ارتجاف جسدها ونبضات قلبها وتركت له شفتيها يلتهمها..

لتشعر بدفء شديد في أحضانه ومن ثم احتضن ذراعه خصرها بتملك شديد.

حتى شعرت براحة شديدة لم تشعر بها من قبل.

تملكها غرائزها المكبوتة طيلة تلك السنوات فلم يصدق (يحيى) ما تفعله (وعد) قد يكون تأثير المنوم ولكن ليس بهذه الطريقة.

شعرت أنها بحاجة للراحة، تلك اللحظات استنفذت قواها وبدأ جسدها يرتجف من الوهن، ونظرت إليه لتتأكد أنه هو نفس الشخص الذي أحبته بكل صدق.

نعم هو لم يتغير كثيرا جاذبيته وابتسامته وتلك النظرة التي توحي بالكثير دون أن تفصح عما خلفها، أصابها الدوار وغلب عليها النعاس أخيرا وهي تشعر بأن الدماء تسير أخيرا في جسدها وقد نامت ولم تشعر بشيء آخر.

(يحيى) أنهى مهمته التي جاء من أجلها وفي هدوء شديد يتحرك من تلك الغرفة بعدما حصل على ذلك الشريط المسجل له مع (وعد) بعدما قام بفعلته الدنيئة مستغلا ما تمر به (وعد) طيلة السنوات الماضية.

وأغلق عليها باب الغرفة من الخارج..

واذا بهاتف (مجدي) يرن مرارا وتكرارا ولا يجيب.

يريد (يحيى) أن يخبره أنه أكمل مهمته بنجاح.

وبعدما طال اتصال (يحيى) فلم تجد (مي) إلا أن ترد على الهاتف لتخبر من يتصل أن زوجها غائب في غياهب نوم عميق..

وعندما نظرت إلى الهاتف وجدت (يحيى) هو المتصل فابتسمت ابتسامة عريضة للغاية أردت أن تطمئن كيف كان اللقاء مع أختها وكيف صارت الأمور معهم خلال تلك الجلسة التي جمعتهم..

وعندما ضغطت زر الرد أخيرا رد (يحيى) متلهفا بشدة قائلا:

- إيه يا عم (مجدي) مش بترد على التليفون ليه!؟

صمتت قليلا (مي) أرادت أن تمازحه بعدم الرد عليه سريعا كنوع من أنواع الدعابة..

أكمل كلامه (يحيى):

- مش بترد يعني ولا مش همك دلوقتي بعد ما خلصت على البت على العموم يا سيدي أنا قمت بالواجب وزيادة معاها.

وأكمل حديثه بسخرية ظهرت عليه ملامح الشيطان:

- هي الصراحة البت تحل من على حبل المشنقة أنا خلصت والفيديو معايا جهز أنت بقى ورقك ودنيتك وكلمني يلا سلام.

صعقت (مي) بعد سماع تلك الكلمات المدوية التي قالها (يحيى) فعرفت أخيرا حقيقة ما كان يرتب له زوجها.

ولم تستطع أن تتمالك نفسها من شدة الصدمة ووقع الهاتف من يدها على الأرض من شدة الصدمة.

وبدأت (مي) تستوعب ما قاله (يحيى) رويدا رويدا وفجأة قامت بالصراخ الذي رج أرجاء المنزل بالكامل.

فسمع (مجدي) صوت صراخها واستيقظ مسرعا ووجدها تركع على الأرض وتصيح وتصرخ من جديد.

وكأنها تتألم ألما شديدا وتستغيث لينقذها أحد.

فجرى (مجدي) بعزم ما فيه للوصول إليها وتبين الأمر.

وعندما وصل إليها انقطع صراخها فجأة.

فاندهش ولكنه وجدها مستلقية على الأرض فاقدة للوعي والدموع تتدفق من عينها بغزارة..

بدأ (مجدي) بالصراخ في أذنيها لكي تفوق مع ترديد بعض الكلمات:

- يا ساتر يا رب... بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

شرب (مجدي) بعض الماء من الزجاجة التي بجانبه على المنضدة وبدأ يرش بها على وجهها لكي تفوق من تلك النوبة التي أصابتها مؤخرا..

نظر بجانبها ليجد هاتفه ملقى على الأرض بجوارها فأمسكه ووجد أن (يحيى) قد قام بالاتصال به مؤخرا فعرف حقيقة الأمر.

وبهدوء شديد حمل (مي) على ظهره ووضعها على كرسي الأنتريه وانتظرها حتى تفوق من غفلتها ليحدثها.

تلاشت ملامح الحنان والحب التي كان يرسمها لها دائما وبدأ يتقمص دور الشيطان في حديثه قائلا:

- إيه يا ستي كل دا أنا عارف إنك سمعتي كلام معجبكيش من (يحيى) بقصده أو بدون قصده كدا كدا كنتي هتعرفي..

أختك متبكيش عليها لأنك أول واحدة فضلتي الهرب منها فا متعيشيش عليا دور الحزينة على أختك واللي حصلها..

عايزة تعرفي احنا بنعمل ليه كل دا؟ أقولك، أنا ومن واقع خبرتي كمحامي مش بيحب يعدي من تحت إيده أي مصلحة حتى لو على حساب أبويا نفسه.

أختك يا ستي اللي انتي زعلانة عليها كانت مخبية عليكو إنها ورثت قطعة أرض تقدر ب١٠ مليون جنيه.

وكانت بتحاول إنها تتحصل على قطعة الأرض دي من وراكم فقامت مأجرة محامي لسه على قده ومن حسن حظي إنه صديق شخصي فحب يشاركني القضية فاديته اللي في النصيب وخليته يتخلى عن تلك البيعة.

كانت بتلعب من وراكم ودا جزائها واللي لازم الفلوس دي تعود علينا كلنا بالنفع ولا انتي لسه مفوقتيش وليكي رأي تاني؟.

بدأت (مي) بعد تلك الكلمات التي سمعتها من (مجدي) بالحديث أخيرا وهي في حالة ترثى لها تظهر عليها ملامح الصدمة والحزن يخيم على كلماتها:

- أرض!؟ أرض إيه أنا أبويا طول عمره كان شغال مدرس لغة عربية مرتبه على قده أرض إيه وورث إيه وكان فين الكلام دا من ساعة ما توفى أبويا!!

ضحك (مجدي) قائلا:

- في دي عندك حق أفهمك أنا اللعبة ماشية ازاي.

يا ستي الموضوع بدأ من حوالي عشر سنين تقريبا وقت ما كان أبوكي لسه مدرس كحيان محيلتوش تلاته أبيض كان يدوب مرتبه على القد يعني بالمختصر كان فقير لكن كان ذكي رغم قلة حيلته.

أحد أصدقائه لعب في دماغه إنه يشاركه في البورصة ورغم عدم فهم أبوكي بالموضوع فقرر يدخل بمبلغ رمزي كتجربة بسيطة ولكن كان المبلغ البسيط دا باسم (وعد).

صدمت (مي) وظلت صامتة تنظر باندهاش شديد لـ(مجدي).

يكمل حديثه (مجدي):

- أه (وعد) مستغربة ليه مش كانت هي أكبركم.. مسألتيش نفسك أبوكي ازاي دخل (وعد) جامعة خاصة رغم ظروفه البسيطة اللي كنتوا بتعيشوا فيها!!

كل الفلوس اللي كانت تعتبر بلا قيمة وقتها متجيش شيء على اللي حصلت عليه (وعد) من الهوا فبعد ما مات أبوكي الله يرحمه بقى أسعار العملات في البورصة كانت في الطالع وهو الحظ بييجي من شوية يقوم البنك مستثمر فلوس أبوكي الكحيانة في شراء قطعة أرض وبدأت الأرض تكبر والبورصة تكسب لحد ما وصلت قطعة الأرض دي لسعر ١٠ مليون جنيه دلوقتي.

وتطلع من نصيب أختك، يعني هتورثه وهو حي وهو ميت! الرحمة حلوة برضه.

لا تصدق ما تسمعه (مي) وكأنه كابوس يحيط بها وفضلت السكوت للحظات عاد من خلالها (مجدي) للحديث مرة ثانية موجها كلماته إليها:

- ساكتة ليه لو مش مصدقة الورق معايا والمستندات اللي تثبت ملكيتها للأرض اللي كانت مدياها للمحامي النص كوم اللي كانت جايبة.

(مي) بتأثر شديد ودموع تتدفق من عينها بغزارة قالت:

- يعني مقابل الأرض والفلوس هتكت عرض أختي! وكمان صورتها عشان تفضحها كل دا عشان الفلوس! يا أخي ملعون أبو الفلوس واليوم اللي عرفتك فيه.

أنا مش هقدر أسامح نفسي على اللي عملته في أختي حتى لو مكنتش أعرف حقيقة الخيانة اللي بتدور من ورايا لكني كنت سبب من أسباب اللي حصل ليها.

ابتسم (مجدي) أبتسامة مكر ودهاء وبدأ بتمرير كلمات أخرى من واجبها التأثير على (مي) قائلا:

- أختك واللي حصل فيها خلاص حصل أمر الله ونفذ بقى.

ولو فضلنا ورا الهري دا ودموع النسوان دي مش هناكل عيش وكلنا هنطلع منها خسرانين..

أختك وأهي محجوزة بمعرفتنا في مكان آمن هنهتم بيها بردو ما احنا عندنا ولا إيه.. والفيديو اللي اتصورت فيه وهي لامؤاخذة هيفضل معانا في الحفظ والصون مافيش خوف منه إلا لو فكرتي تلعبي من ورانا ساعتها هيكون في كلام تاني.

لا تصدق (مي) ما تسمعه! أيعقل أن يكون هذا هو (مجدي) زوجها التي أحبته ورأت نجاحه يمر أمام عينها! أيمكن لمحامي أن يجعل من القانون عرضة لشروره وأفعاله! تلك الكلمات التي كانت تمر في رأس (مي) من شدة التفكير وظلت صامتة ولم يصدر منها أيه رد.

أكمل حديثه (مجدي) بعد نظرات خبث شديدة في عينه قائلا:

- ها قولتي إيه نقرا الفاتحة؟؟

نظرت إليه (مي) نظرة غل وكره وقالت بسخرية:

- نقرا عليك الفاتحة إن شاء الله.

ابتسم (مجدي) وبلهجة حادة قال:

- ليه بس الغلط دا شوفي مصلحتك فين ومع مين دا أنا جوزك حبيبك اللي عارف مصلحتك والحل في إيدك انتي.

بإيدك تنقذي أختك وبإيدك تمنعي الفضيحة وبإيدك بردو تاخدي ٢ مليون جنيه نصيبك بعد ما نخلص مهمتنا على خير قولتي إيه؟؟

بدأ الشيطان يوسوس لـ(مي) بعد سماع ذلك الرقم الذي لم تحلم أن تحصل عليه من قبل وردت ردا مختصرا والدهشة تملأ وجهها:

- ٢ مليون جنيه مرة واحدة!!؟

(مجدي) والثقة تسيطر عليه رد قائلا:

- اه ٢ مليون.. مش حرام يضيعوا كدا عليكي؟ ما يا كلنا نطلع منها كسبانين أو تطلعو انتو بس الخسرانين!!

ردت (مي) باختصار شديد وكأنها تريد التوصل لحل يرضي جميع الأطراف حتى لو على حساب أختها فلم يعد في وسعها شيء تفعله سوى أن تقبل بذلك العرض وقالت:

- طب والحل..؟

وقف (مجدي) وبدأ يحوم حول الكرسي التي تجلس عليه (مي) قائلا:

- اهو هو دا عين العقل هو دا الكلام انتي تسألي واحنا نجاوب قدام المصلحة هتصب في مكان واحد.. أنا أقولك على الحل اللي يرضي جميع الأطراف.

رقم واحد أختك تعملي توكيل في التصرف في الأرض وإدارتها.

اتنين أبيع أنا الأرض وتتقسم فلوسها على أربعة..

أنا وانتي و(يحيى) و(مصطفى)!!!

صدمت (مي) بعدما ذكر (مجدي) اسم مصطفى في كلماته وقالت:

- مصطفى! هو يعرف حاجة عن الموضوع!!؟

ضحك (مجدي) بصوت مرتفع قائلا:

- مصطفى أخوكي الفكرة كانت فكرته من الأول خالص لما عرف بموضوع الفلوس تقبل أي حاجة ممكن تحصل في أخته لمجرد إنه ينتقم منها وياخد فلوسها.

(مي) وباندهاش كبير قالت:

- ينتقم منها ليه وعشان إيه!!؟

رد (مجدي) بنفس لهجة السخرية في حديثه:

- والله أنا مكنتش حابب أتدخل بينكم بس هو بيقول إن هي كانت لامؤاخذة يعني مقشطة أبوكي وهو حي يرزق أول بأول.. وإنها خدته

منكم فا دا سبب مقنع الصراحة بالإضافة طبعا للـ٢ مليون جنيه اللي هياخدهم يحركه الصخر طبعا.

بعدين أنا مكملتش كلامي احنا وقفنا فين اه عند رقم تلاتة.

الهام التالت بقى والأهم الموضوع دا ميخرجش برانا وإلا انتي عارفة ممكن أعمل إيه ساعتها والله الأمور مشيت تمام وكملنا البيعة على خير وأختك عملت التوكيل يبقى أختك هترجع لبيتها والفيديو كأنه لم يكن وانتي هتاخدي فلوسك وأخوكي كذلك.

وعشان أوفر عليكي الكلام والوقت وكتر التفكير لو مش حابة تكملي معايا براحتك بس بعد ما آخد فلوسي وكل حاجة تنتهي بشياكة ولا انتي ليكي رأي تاني**!؟**

- طب وأنا أضمن منين إنك مش هتعمل حاجة تاني في (وعد) ما هي تحت إيدك وتقدر تعمل فيه اللي عملته مرة واتنين وتلاتة.

ذلك السؤال الذي مررته (مي) خوفا على أختها فمازالت تشعر بالذنب تجاهها.

رد (مجدي) مع ابتسامة خبيثة:

- عندك حق بس (يحيى) خلاص اكتفى من صنف الحريم.

شهادة حق أشهدها ليحيى إنه مدخلش العملية دي عشان خاطر يستمتع مع أختك بشوية وقت لا (يحيى) دخل اللعبة دي عشان هو عارف المكاسب اللي هيطلع منها كويس.

وأنا الصراحة كنت بشفق عليه وهو مع أختك لأنه مش محتاجها في حاجة خصوصا إنها خلاص بقت عضمة كبيرة ومعدتش تنفع ببصلة ويحيى حواليه ألف ست بس هو يشاور بس وانتي عارفة الباقي بقى..

(مي) تحركت من مكانها وتركت فم زوجها يصدر كل تلك الترهات التي يطلقها أمامها لا يشغلها سوى عودة أختها للديار بعدما شعرت بأنها شاركت في تلك الجريمة دون أن تعلم حقيقة ما يدور هنا.

تحركت برأس مثقلة وعيون دامعة وبدأت تتلو صلواتها وترفع يدها بالدعاء بعدما انتابتها قشعريرة وأصابتها الرجفة وهي تتخيل ما حدث لأختها، أنهت دعواتها وبدأت تمسح على وجهها الذي احتقن بألوان الحزن وعيناها حائرة تملؤها الدموع.

الفصل الثالث

"اعتراف"

وعلي ذلك الكرسي أرمي بجفوني المثقلة وأرتمي

أمامك أحكي بعضا من ملامح الحقيقية وأعترف!!

<u>تابع مازال في القصة بقية..</u>

بعد لحظات من تلك الواقعة وعلي ذلك اليخت (يحيى) رافعا رأسه للسماء مناجيا ربه وهو يشعر بالندم وكأنها المرة الأولى التي يلمس بها النساء.

خصوصا أن (يحيى) تجاربه النسائية لا تعد ولا تحصى ولكن هذه المرة شعر بالندم على ما فعل، شعر أن ضميره أفاقه من غفلته التي جعلته مهووسا بالمال والنساء وبدأ يلوم نفسه ببعض العبرات وبدأت عينه تدمع ويحدث نفسه بنبرة يملؤها الكثير من الندم:

- إيه اللي أنا وصلت ليه دا يا ربي.. أنا تعديت كل الخطوط الحمرا! خمرا وفلوس مشبوهة وهتك عرض أنا وصلت لفين!!

خايف أموت دلوقتي ومقدرش أعوض لحظة كنت أقدر أمنع فعلتي دي.

حتى البنت الغلبانة لم تسلم مني ومن شري..

وبدأت الامطار تهطل بغزارة والأمواج تعتلي سطح اليخت وكأنها النهاية التي تمناها (يحيى)، في تلك اللحظات أراد أن يستريح من نفسه ويريح الناس والبشر من شروره أراد الموت ولا شيء سوى الموت.

ولكن سرعان ما أفاق (يحيى) من تأثير الكحول الذي شربه بسبب كثافة مياه الأمطار التي هطلت على رأسه.

مياه الأمطار كان يستشعر بها (يحيى) كانت تلك الأمطار تهطل على رأسه كالصخر ومن شدة مع شعر به أفاق أخيرا.

وبدأ يستعيد نفسه ويتحرك مسرعا نحو الغرفة التي تتواجد به (وعد) ليطمئن عليها..

وبدأ يستند من حائط إلى حائط، وقف للحظات يتأمل مظهره الرهيب الذي يبدو عليه جراء فعلته فملابسه عليها بعض من رذاذ وبقايا دماء من أثر التهجم الوحشي الذي قام به، وعينان غائرتان تملؤهما الدموع.

وقف للحظات حاول أن يصلح ويهندم من ملابسه قدر المستطاع، كان الزي يرتديه يبدو داخله كالأبله وكل شيء يبدو فوضويا من حوله.

فتح باب الغرفة ببطء شديد خوفا من ردة فعلها ولكنه لم يجد أي مقاومة تذكر ووجدها جالسة على الأرض تتدفق منها الدموع وتحاول أن تغطي ما تبقى من جسدها بعدما تمزقت ملابسها بالكامل.

ظهرت (وعد) في حالة انكسار خائفة تزداد ضربات قلبها عندما سمعت باب الغرفة يفتح وسمعت صوت أقدامه تقترب منها.

تدافعت الأسئلة من رأسها ولكنها لا تستطيع أن تتحرك تشعر أنها مقيدة مطأطئة الرأس، عينان تحيطهما الهالات السوداء، وشفتان فقدتا بريقهما فأصبح وجهها لا يحمل سوى تفاصيل وملامح الانكسار.

خلع (يحيى) جاكت بذلته وغطى بها (وعد) في تصرف غريب لم تتوقعه (وعد) منه، طال وقوفه أمامها وظل متحفظا بهدوئه للحظات ومن ثم قام بجذب كرسي وجلس أمامها وكأنه جلس على كرسي الاعتراف وبدأ الإفصاح عن نفسه بشيء من التواضع والحسرة على ما وصل إليه الآن وقال وهو ينظر لها في خجل شديد:

- عارف إنك جواكي مية سؤال وسؤال ليه عملت كدا معاكي..

بس الحقيقية الوحيدة اللي في الموضوع إني أول مرة أندم على حاجة عملتها وأكون مكسور كدا..

يمكن عشان دي المرة الأولى إني أحس، أول مرة يكون عندي شعور زي بقية البشر وأخاف وأنكسر، يمكن عشان من كتر نزواتي مبقتش تفرق معايا ما غلط على غلط لحد ما بقى الغلط هو اللي السائد.

بس مش بإيدي أنا.. أه مش بأيدي.. اللي أنا وصلت ليه دا يحاسب عليه أبويا اللي معلمنيش يعني إيه خطوط حمرا ويعني إيه رجولة تدب في قلبي وقت اللزوم.

متبصيليش كدا، الفرق اللي بيني وبينك إنك كان عندك أهل وأنا كان عندي حيطة مايلة متنفعش حتى أتسند عليها لو وقعت.

عايزة إيه من واحد كل طلباته مجابة وبشتغل بس عشان ميتقالش عليا ابن أمه وقاعد في البيت وبابي بيصرف عليه.

كنت بنجح رغم إني مكنتش بحضر أوقات الامتحان فلوس بابا كان ليها مفعول السحر يقدر يشتري بيها أي حاجة وكل حاجة ما عدا الضمير والشرف.

آه الشرف اللي متعلمتوش في حياتي غير إن شوية الفلوس تقدر تنسيك كل حاجة وأي حاجة في أي وقت.

أنا مجرد ضحية لأب فاسد وأم مستهترة.

نجحت بالفلوس وبقيت محاسب بردو بالفلوس ومسكت مدير أكبر شركة مقاولات في الشرق الأوسط عشان أبويا يبقى هو صاحب الشركة ورئيس مجلس الإدارة.

كنت محتاج أطلع إيه لما كل حاجة بتيجي من قبل ما أفكر فيها ها؟ هطلع إيه لما أصحى كل يوم على صوت كاسين بيضربوا في بعض في سهرة حلوة عاملها بابا للشلة الفاسدة اللي معاه.

ويوم ما قررت أبعد وأعيش مع امي بعد ما انفصلوا بمدة اتضح ليا إن فلوس أبويا أرحم بكتير من إن يتقال عليا متستر على علاقات أمي اللي زادت يوم عن التاني وبقى كلام الناس يرن في ودني.

كلهم شبه بعض.. محدش فكر أنا هكون إيه مع أب فاسد وام عاهـــ..

مش هقدر أقول أم إيه لأنها في النهاية أمي للأسف.

شوفتي وصل بيا الحال لفين.. إني متمناش إن يبقى ليا أم ولا حتى أب.

سابوني مع شوية فلوس وشوية عار ورثتهم عنهم وبعد ما الناس كانت بترميني بالكلام في الرايحة والجاية بقيت في عينهم الكل في الكل بسبب الفلوس بعد ما مات أبويا وورثت منه كل حاجة.

ما عدا الأدب والشرف اللي عمري ما حسيت بيهم في حياتي قد اللحظة دي.

مفتكرش إن واحد زي حالاتي كانت تفرق معاه أي حاجة قد اللحظة دي.

يمكن كلامي ميغفرش اللي عملته فيكي بس عمري ما حسيت إني ندمان على حاجة قد ندمي على اللي عملته فيكي.

عشان حسيت إنك الوحيدة النضيفة اللي عرفتها في حياتي.

حتى علاقتي بمجدي جوز أختك علاقة مصلحة مش أكتر، (مجدي) زيه زي بابا كل اللي يهمه الفلوس والجاه وملعون أبو الناس اللي ممكن تيجي تحت رجله عشان يعدي عليهم ويحقق اللي هو عايزه.

(مجدي) كان مجرد محامي صغير اشتغل في مكتب محاماة يملكه بابا عشان يقدر يغطي على قذارته بالقانون.

وبعد وفاة بابا اتقرب مني وبقينا صحاب عشان خاطر المصلحة، أنا أعمل البلاوي والفساد و(مجدي) يشوف لينا مخرج قانوني يطلعنا منها، زي ما تقولي كدا عصابة متكاملة الأركان فيها الفاسدة والمتستر.

عارفة يا (وعد) مصدقتش لما قالي إنه مش هامه تموتي ولا لا عشان لو حصل يبقى ارتاحنا واللي هما عايزينه اتحقق من غير أي تعب.

بس اللوم مش عليه اللوم على أخوكي (مصطفى).. أيوة (مصطفى) اللي مفوتش فرصة عشان يكون نسخة مصغرة مني بيدور على الفلوس حتى لو هيدوس على أقرب الناس ليه.

عارف إني طولت عليكي في الكلام وإنك عندك مية سؤال وسؤال بس الحقيقة إني ندمان!!

بدأت الدموع تتساقط كاللهيب من (يحيى) وكأنها المرة الأولى التي يبكي فيها على شيء من أفعاله.. دموع أفاقت (وعد) من صدمتها وبدأت تتحرك باتجاه (يحيى) ببطء شديد ولهفة في الانتقام منه.

(يحيى) يطأطئ رأسه للأسفل وينتظر منها العدل يريد أن يتخلص من هذه الحياة يريد أن تقتله وتشفى غليلها منه وهو مستسلم تماما لقرارها.

ولكن سرعان ما تبدل الأمر بعدما وصلت إليه (وعد) وبقيت واقفة أمامه لدقائق لم تفعل فيها أي شيء.

تعجب (يحيى) من ردة فعلها ولكنه كان واثقا أنها ستقتله اجلا أو عاجلا ولكن ذلك لم يحدث..

اقتربت (وعد) منه أكثر وأكثر وإذا بيدها تضم رأس (يحيى) تجاهها وتحضنه في مشهد لم يتوقعه أحد.

وباندهاش كبير نظر إليها (يحيى) متسائلا لمَ لم تقتله رغم كل ما فعله بها أسئلة تكاد أن تفتك برأس (يحيى) ولم يعرف لها إجابة واضحة إلى الآن.

بدأت (وعد) بالحديث أخيرا وعينها تدمع ولكنها تظهر قوية تقف دون تردد وتتحدث قائلة:

- متخافش مش هقتلك احنا الاتنين ضحية واحدة معرفش أنا ازاي متعاطفة معاك شعور غريب صح لكن دا مش من طبعي ومعرفش قادرة أتماسك كدا ومنتقمش منك دلوقتي.

وكأنك اديتني حبوب المحبة والتسامح في موقف لا يمكن التسامح فيه.

أنا معرفش الحكاية بدأت ازاي وإيه اللي مطلوب مني كل اللي فهمته إن الموضوع بسبب الفلوس وإنك ضحية زيي بالظبط ما كنت أنا فريستك.

كنت خلاص قربت أصدق نفسي إني هخرج من حالة الوحدة اللي عايشة فيها من زمان مع راجل حبيته بكل جوارحي ولكن بسرعة فوقتني الدنيا من غفلتي وكأنها تقول "ليس هناك مجال للفرح هنا".

أنهت (وعد) كلماتها وسط حالة من الدهشة والذهول الذان يسيطران على (يحيى) فكيف تتعامل (وعد) بكل تلك الرزانة والحكمة في موقف لا يقبل القسمة على اثنين وبدأت الأسئلة والكلام يسيطر على تفكيره.

أيمكن أن يكون ذلك أثر على قواها العقلية وأصبحت فاقدة السيطرة على تفكيرها؟ لا يمكن أن تكون طبيعية! من المفترض أن يكون قتيلا بين يديها الآن خصيصا بعدما سلم رأسه لها وأصبح على أهبة الاستعداد لمغادرة هذه الدنيا.

(يحيى) قرر أن يحكي تفاصيل تلك اللعبة القذرة التي كانت تحاك من وراء ظهرها وسرد تفاصيلها لتكون على يقين بما دار في الكواليس:

ـ للطمع وجوه كثيرة وكل تلك الوجوه القذرة كانت لنا جميعا.

بدأ الأمر برمته من ترتيب (مجدي) بعدما علم أنك تمتلكين قطعة أرض يقدر ثمنها ب١٠ مليون جنيه.

ولأن الفلوس تعميه فلم يفكر سوى باللعب على أوتار مشاعرك فهو يعلم جيدا حالة الوحدة التي تعيشين بها منذ فترة طويلة وأنك في اشتياق حقيقي لوجود رجل بحياتك.

بدأ يرتب للأمر ومن ثم قام بالاتصال بي لترتيب تلك المقابلة التي كانت لها الدور الأبرز في الترتيب لتلك الجريمة بإتقان شديد وليكون الأمر أمام أختك لتقتنع هي الأخرى وتقنعك معها فهي الأخرى لم تكن تعلم حقيقة الأمر.

أقنعني أن تلك الأرض يمكن أن نستفيد منها لإقامة مشروعات عملاقة تصب في مصلحتنا جميعا.

وبعد الاتفاق على كل شيء أصبح الأمر متوقف عندك أنتِ فقط.

كنا نثق من موافقتك على تلك الزيجة فأنتِ في أشد الاحتياج لرجل يكون هو طوق النجاة بالنسبه لكِ بعدما سيطرت عليكِ حالة الوحدة طيلة تلك السنوات.

علم أخوكي (مصطفى) بما يحاك بكِ وصمت وأبدى موافقته بعدما أقنعه (مجدي) بأنها فرصته التي لا تعوض فمبلغ ٢ مليون جنيه لإنسان "ضارب تأشيرة سفر" وكل يوم في مكان مختلف سيغير حياته بالإضافة للدافع الشخصي الذي يعلمه وحده.

وأخيرا جاء يوم ومعاد تنفيذ تلك اللعبة فبعدما أعلنت (مي) أنها ستحضر للقاهرة برفقة زوجها لحضور تلك المقابلة التي تجمعنا ببعضنا البعض اقترح عليها (مجدي) بدهاء وخبث شديد أن يتركونا وحدنا في هذه الليلة خشية أن يفقد اللقاء بريقه الرومنسي.

وأقتنعت أختك بتلك الحجة الواهية فتركت هاتفها يرن على اتصالك دون جدوى، أرادت أن تجعلها مفاجأة لكِ ولكن لا تعلم أنها ستكون المفاجأة الأسوأ لكِ على الإطلاق..

أنهى (يحيى) كلامه وانحنى برأسه أمامها في انتظار أن تنفذ به انتقامها وتجعله يغادر هذه الدنيا على يدها الشريفة التي لا تعرف طعم الخيانة والفساد الذي تعلق به طيلة تلك السنوات الماضية، فكم من إنسان ظلم وكم من امرأة فقدت عذريتها على يده.

أقدمت (وعد) وتحركت باتجاهه وبالهدوء الذي يطغى على تصرفاتها غير المفهومة قالت:

- لن أقتلك فتسيح دماؤك هدرا ولن أتركك تموت وأبقى وحدي أناجي نفسي في صمت!

(يحيى) بلهجة حادة منفعلا رد قائلا:

- (وعد) مالك انتي فاكرة إني بحبك وإني هفضل جنبك بعد اللي عملته فيكي!

الحقيقة اللي مقدرش أنكرها إني عمري ما حبيت غير الفلوس فوقي بقى وخدي حقك بإيدك وطفي النار اللي جواكي.

أنا مش عايزك تبقي أحسن مني أنا عايزك تعيشي بعيد عني وانتي بإيدك دمي اللي لوث فستانك بالعار.

فوقي واعرفي حجم اللي حصل وموتيني بإيدك واشفى غليلك.

تدافعت الأسئلة في رأس (يحيى) جراء تصرفات (وعد) العجيبة فبدلا من أن تنتقم منه شر انتقام بدأت تصدر صيحاتها تعلن العصيان وظلت متحفظة بهدوئها، فجلست على طرف السرير أمامه في صمت مبهم..!

الفصل الرابع

"الملجأ"

أقصر الطرق للحيلة هي فتح ملفات الماضي..

جلست (وعد) على طرف السرير حين اقترب منها (يحيى) رافضة فكرة الانتقام وبصمت مبهم، حاول أن يساعدها على الرقود لكنها تملصت من قبضته، استجمع قواه ونظر في عينها في ذهول حاول أن يبحث عن ملامح الحقيقة الغائبة.

وتحرك بشكل هادئ وهو يحمل على وجهه نصف ابتسامة حزن وكسرة في عيونه، استجمع قواه مرة أخرى بعد تلك اللحظات الغاضبة وبدأ جسده يرتجف من الوهن فتحرك وقد اتخذ القرار بالرحيل عن هذه الدنيا والمضي قدما نحو الموت ولا شيء غير الموت الذي سيريح الدنيا من أفعاله.

يقف على حافة اليخت ويكتم أنفاسه وينظر النظرة الأخيرة وكأنها نظرة الوداع.

كادت قدماه أن تخذلاه وكاد أن يسقط ولكنه تشبث للحظات بأمل الحياة عندما أفاقته صرخات هاتفه.

هل تكون إشارة لتبقى أم إنك اتخذت القرار وعليك الرحيل دون الرد على أحد؟

ولكن سرعان ما كان قراره بالتراجع ولو مؤقتا فأمسك بهاتفه ليجد (مجدي) هو من يتصل به فأراد أن يصلح ما أفسده بعدم التعاون معه مرة أخرى.

وفي حالة من الغضب والندم الذي اجتاح قلبه رد على الهاتف قائلا:

- إيه يا مجدي عايز إيه تاني ما كفاياك بقى!!

مستني إيه مني تاني أنا خلاص مش هكمل معاك في لعبتك السخيفة دي تاني!

بدأ (مجدي) بالحديث بلهجة حادة منفعلا:

- بتقول إيه مش هتكمل! ما بلاش تلعب معايا ما انت عارف اللي فيها والله أجيب عليها واطيها اعقل كدا واحسبها صح.

ولا مستني مني لا سمح الله أطلع الورق اللي بيثبت أن فلوس المقاولات اللي انت صاحب شركتها كلها من الباطن.

ولا نطلع العقود المزورة اللي تحصلنا بيها على أرض الساحل؟

ولا أقولك على الكبيرة بقى إيه رأيك نطلع شهادة الميلاد الأصلية بتاعتك فاكرها ولا تحب أفكرك بيها ها؟

اوعى تنسى نفسك وتفتكر إنك بيه أنا اللي عملتك وأنا اللي أقدر أهدك بكل سهولة وزيارة بسيطة للملجأ اللي انت جاي منه نعرف الناس كلها (يحيى) باشا صاحب أكبر شركة مقاولات يبقى مين.

ها اوعى تفتكر إنك ابن الباشا (حامد عز الدين) ولا الاسم غريب عليك شوية؟ ما لازم يبقى غريب ما هو مش أبوك وانت ورثت منه كل حاجة بشوية لعب بسيط في الأوراق يعني كل اللي انت فيه دا بفضلي أنا.

ورحمة أمي لو فكرت تلعب بيا لأدمرك.

خليك (يحيى حامد عز الدين) أحسن ما أجيبلك اسمك الحقيقي اللي منعرفش مين أبوك لحد دلوقتي!!

كلمات مدوية أسقطت من يد (يحيى) الهاتف، لم يكن يتصور أن (مجدي) قد يلجأ إلى تلك الأوراق للضغط عليه لفعل أي شيء يحتاجه.

فقد كان لعبة في يد (مجدي) ذلك المحامي الفاسد الذي جعل منه ثريا يرث كل ما يملك رجل الأعمال الكبير (حامد عز الدين) فهو لم يكن وريثه الشرعي.

سقط (يحيى) متأثرا بكلمات (مجدي).. غفا للحظات يتذكر كيف كانت حياته بالملجأ فقد كان طفلا لا يعرف شيئا عن الدنيا، طفلا لم يرَ والديه حتى الآن ولا يعرف شكلهم.

تعددت وقتها القصص والحكايات فمنهم من قال إنهم وجدوه أمام باب هذا الملجأ ومنهم من قال إنهم وجدوه داخل مسجد ولا يعرف أحد شيئا عن الحقيقة.

وكيف أتى إلى هنا ذلك الرجل الأنيق للغاية رجل الأعمال (حامد عز الدين) وقتها لم يدرك ما معنى أن يكون لديه أب، شعر وقتها أنه سيتحقق جزء من أحلامه بعدما تربى في منزل ذلك الرجل الثري فعلم وقتها أنه لم ينجب أطفالا وقد ذهب للعديد من الأطباء ولكن لا مفر.

لن ينجب أبدا رغم كل ما يملك من مال لم يستطع أن يعالج نفسه!!

فلم يجد حيلة إلا أن يذهب للملجأ ويعتني بأحد أبنائه ليعوضه عن ذلك النقص.

كبر شيئا فشيئًا ورأى الفساد يكسو ذلك المنزل والأموال الطائلة التي لا تعد ولا تحصى ترمى على الأرض تحت أقدام النساء في سهراتهم المعتادة.

طلب منه أكثر من مرة أن يغادر خشية أن يكون مثلهم فا رضخ لطلبه أخيرا بعد إلحاحه المستمر ولكنه أراد أن يعيش مع طليقته وأن يعاملها كأمه التي لم يرها مطلقا.

شعر وقتها أن الله قد عوضه عن حنان الأم فقد كان صغيرا بعض الشيء وأراد أن يرتمي في حضن يشعره بحضن أمه الذي لم يتذوقه حتى الآن.

ورحل لبضع سنين عاش فيها مكسور الخاطر مطأطئ الرأس لما رآه أمامه.

فقد كانت نزوات تلك المرأة أكثر مما توقعه، كانت تستقبل رجالا في شقتها للسهر معهم على مرأى ومسمع من الجميع.

صار بين اختيارين، إما أن يبقى هنا وسط هذا العالم القبيح ونزواته التي لا تنتهي أو يذهب لأموال (حامد عز الدين).

اختار أن يكون مع الأموال وفسادها، كان يعتقد أنها أفضل بعض الشيء من مشاهدة تلك النزوات ويبقى صامتا.

ولكن كلاهما شيطان يمشي على الأرض، لم يعد يحتمل ولكن الأموال جعلت منه ثريا بعدما كان طفلا عاش صغره في ملجأ لا يعرف شيئا عن الدنيا.

إلى أن تحول ابن هذا الرجل الثري (حامد عز الدين) ويوم بعد الآخر اكتسب اسمه ومن ثم اكتسب ثروته بعد وفاته.

لم يتوقع أن يذكره أحد بتلك التفاصيل من جديد لقد عفا عليها الزمن..

وبعد صراع طويل مع الماضي ظل فيهم (يحيى) شاردا لعدة دقائق يتذكر تفاصيل الماضي، أفاق أخيرا من غفلته وبدأ يلتقط الهاتف مرة أخرى من على الأرض خشية أن ينفذ (مجدي) تهديده..

ورد عليه مرة أخرى بهدوء شديد وحالة انكسار يرثى لها قائلا:

- مجدي انت لسه على الخط!!؟

رد (مجدي) منفعلا:

- أه كنت مستنيك تفكر وتشوف هتعمل إيه حابب تكمل ولا نطلع الشغل اللي عندنا ونشوف مين اللي هيضحك في الآخر؟

(يحيى) بنبرة تعاطف وهدوء رد قائلا:

- طب يا (مجدي) ذنبها إيه البنت اللي جوة دي كفاية أوي لحد كدا كفاية اللي حصل فيها..!

ضحك (مجدي) وبسخرية رد قائلا:

- سيبك من الشغل دا مياكلش عيش معايا.

انـت شـكلك طمعـت فـي الأرض لوحـدك ولا البـت احلـوت فـي عينـك فجأة!!؟

(يحيى) منفعلا رد قائلا:

- فلوس إيه وأرض إيه ما كفاية بقى ولا لسـه مـا اكتفتش بـالفلوس اللـي بتخدها من ورايا!

أنا مش هكمل في اللعبة دي واللي عندك اعمله.

ابتسم (مجدي) ابتسامة ثقة ورد قائلا:

- طب حاسب على كلامك أنا كل دا مستحملك وأنا صبري قليل.

فين الفيديو اللي انت صورته مش قلتلك ابعته!!؟

ولو مش حابب تكمل هبعتلك حد ياخد البت من عندك وتطلع انت برا الليلة مش عايز أشوفك تاني.

أمسك (يحيى) بهاتفه متلهفا فتذكر أنـه قد أرسل الفيديو الخـاص بتلك الواقعة لمجدي على البريد الإلكتروني وفي تلك اللحظـة وصلت رسـالة مضمونها "لقد نجح الإرسال".

جلس (يحيى) على الأرض واضعا يده فوق رأسـه بسبب أنـه تـرك ذلك الفيديو يقع بين أيدي (مجدي).

وبدأ الكلمات تأن في رأسه:

- ماذا أفعل الآن لم يعد بوسعي شيء لأفعله ولا أستطيع أن أغادر هذه الدنيا وأترك تلك الفتاة في ذلك المأزق الذي كان من صنع يدي بعدما وصل الفيديو أصبح محتوما عليها أن تتنازل عن تلك الأرض وإلا فضحها (مجدي) في ساحات المحاكم..

وإذا بصوت (مجدي) يحدثه من جديد قائلا:

- الله ينور عليك إيه يا عم الشغل الحلو دا الفيديو وصل كدا بالسلامة.

اعقل كدا بدل ما أروح أودي الفيديو للنيابة وتبقى فضيحتك انت وهي بجلاجل وشوف بقى هيتقال إيه وكام ملف هيتفتح مع الفيديو في المحكمة يعني مش أقل من ٢٥ سنة.

هتك عرض امرأة وملفات تزوير دا أقل واجب ليك وهي حلال عليها الفضيحة في المواقع والقنوات.

تخيل كدا معايا مانشيت الجرايد تاني يوم هيبقى عامل ازاي "الفتاة التي اغتصبها رجل الأعمال الشهير (يحيى حامد)" والله حلوة أنفع صح!!؟

كلمات مستفزة أشعلت الغضب بقلب (يحيى) وفضل المواجهة هذه المرة بكل حسم.

ورد (يحيى) قائلا:

- (مجدي) اعمل اللي انت عايزه ولما المحكمة تستدعيني يبقى هو دا أنسب وقت أتحاكم فيه على كل البلاوي اللي عملتها.

أنا مش خايف أنا ندمان ومستعد للمحاكمة زي ما كنت مستعد أموت من شوية.

ربنا بعتك ليا عشان عايز يحاكمني قدام الناس كلها وأنا لها اعمل ما بدالك.

أغلق (يحيى) الهاتف بعد كلماته الأخيرة التي قالها وقد أعلن العصيان وشعر بعدها براحة غريبة تجري في عروقه، حاول أن يستند إلى الحائط فخذلته يداه وعينان غائرتان تحيطهما الهلات السوداء وأصبحت الرؤية ضبابية أمامه وسقط على الأرض موجها نظره للغرفة التي تقطن فيها (وعد) بتمعن شديد.. أغمض عينه واستسلم لنوم عميق.

الفصل الخامس

"الغرفة"

وصوت العزلة يصدر أنينا مرعبا يكتم أنفاسي.

الغرفة غارقة بالظلام باب الغرفة موصد عم الصمت مجددا حتى صار صوت سكون الليل يسكن أرجاء الغرفة التي تسكنها (وعد).

على متن ذلك اليخت في ليل اليوم الثاني لها على ذلك اليخت وبعد تلك الواقعة استيقظت (وعد) لم تعد ترى شيئا أمامها فالظلام يسيطر على الغرفة.

تراجعت بعض الشيء بخطواتها المثقلة قليلا للخلف والرعب بدأ يتسلل إلى قلبها بشدة.

وكادت أن تسقط من هول ما تسمعه من خطوات داخل الغرفة.

سمعت خطى أقدام داخل الغرفة معاها تقترب منها.

ثم توقفت (وعد) من التحرك حينها شعرت بأنفاس حارة بالقرب منها وصوت يهمس باسمها.

تصلبت في مكانها وكاد يتوقف قلبها.

أسرعت نحو باب الغرفة وأسرعت للخارج ولكن الظلام كان يملأ المكان ولم تكن ترى شيئا أمامها من شدة الظلام.

تشعر بالهواء راكد ثقيل لا يكاد يتحرك، دارت حول نفسها دورة كاملة تحدق في اللاشيء.

كل شيء كان يمر سريعا من أمامها وصوت موسيقى صادر لا تعلم مصدره.

ثم بخطى بطيئة سارت نحو الخارج وهي تلهث من شدة الخوف وتبكي

نظرت للخارج كان (يحيى) مستلقيا على الأرض أمامها وكأنه فارق الحياة.

بدأت تصرخ..

تصرخ بعنف وكأنها يتم تمزيقها حية.

أسرعت نحوه للاطمئنان عليه وعندما وصلت وبقيت واقفة أمامه مباشرة أغلق باب غرفتها وحده وتوقف كل شيء فجأة.

حتى الهواء وعم سكون قاتل يسيطر على المكان.

تراجعت للخلف قليلا وجلست على الأرض وفجأة وجدت باب غرفتها يفتح من جديد على مصراعيه ويخرج منه ضوء غريب.

يحمل بين طياته تلك المشاهد التي أفقدتها عذريتها وكأن المشهد يعاد مجددا.

فأسرعت للخروج وكلما تتحرك من مكان تجد نفسها قد عادت من جديد أمام تلك الغرفة التي حدثت بها الواقعة.

ثم توقفت فجأة وعاد الاطمئنان لقلبها قليلا.

كانت تلهث من شدة الخوف والتعب.

صارت دقات قلبها تتسارع وكأنها كانت في سباق سرعة.

ثم عادت تلك الموسيقى في الظهور من جديد وهي مازالت واقفة أمام باب غرفتها.

وظهر (يحيى) أمامها منهك بشدة وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.

اتسعت عيناها وسط الصراخ الهستيري الرهيب وتلعثم الموقف أمامها

ساد الصمت فجأة!

تنظر حولها لتجد (يحيى) يحدق بها ويقول بصوت مبحوح:

- لا تخافي يا (وعد) انظري إلى فستانك فلم تعد تظهر منك أي قطعة من جسدك فقد عاد كما كان جديدا لامعا.

وانظري إلى حالي كيف أصبحت منهكا ومنكسرا والهموم تحيط بي!

جلست (وعد) بجانب غرفتها ومازالت ضربات قلبها تتسارع بشدة من هول ما تسمع وترى ومازلت تلك الموسيقى ترن في أذنها..

أكمل حديثه (يحيى) وهو مبتسم:

- وعد سألقي عليك آخر كلماتي ستنتهي حياتي بعد قليل فقد حكم عليّ القاضي بالإعدام بعدما سلمه (مجدي) ذلك الشريط المصور أنا آسف...

كانت مازالت (وعد) جالسة بجانب غرفتها خائفة نظرت إلى (يحيى) وابتسمت وأغمضت عينها فجأة..

- (وعد) يا (وعد)!!!

كان ينادي عليها (يحيى) فقد كانت نائمة تلقي بعض الكلمات غير المفهومة وتصرخ بشدة وكأنه كابوس يسيطر عليها..

إنه كابوس حقا.

ومن ثم أفاقت أخيرا على صوت صراخ (يحيى) الذي قلق عليها للغاية وكان ينادي عليها بصوت مرتفع لكي تفيق من ذلك الكابوس الذي يسيطر على أحلامها.

ظلت في مكانها قليلا تفرغ مشاعرها، وهي تشعر بثقل للغاية ولا تستطيع رفع جفينها.

نهضت بتثاقل وتجاهل لصرخاته المتتالية التي أفاقتها من غفلتها وهي تنظر إلى جنبات الغرفة وتلهث خائفة بعض الشيء مما رأته في منامها.

وبدأت بالاتكاء على يدها حتى وقفت وهي تنظر إلى فستانها الممزق اعتقدت أنه عاد كما كان وكما رأت هي في أحلامها.

ينظر إليها بدهشة كبيرة (يحيى) جراء تصرفاتها غير المفهومة وبدأ بالكلام بهدوء شديد حتى يطمئن عليها قائلا:

- وعد مالك انتي كنتي بتحلمي؟!!

صمتت (وعد) ولم ترد على سؤال (يحيى) الذي أراد أن يطمئن عليها..

بدأ (يحيى) يتحسس بيده رأسها ويمرر أصابعه بين خصلات شعرها ليطمئنها.

تلك اللمسات التي شعرت بها مجددا تعيد إلى ذهنها ذلك اليوم بتفاصيله ولمسات (يحيى) تشعرها بأن الدماء تجري في عروقها..

ولكن سرعان ما أبعدت يده عن رأسها..

رجع للخلف قليلا (يحيى) خوفا أن تشعر (وعد) أنه سيفعل فعلته من جديد ولكن هذه المرة كانت لمساته من طابع الخوف عليها ليس إلا!

ومن ثم تركها وحدها بالغرفة وغادر بكل هدوء..

جلست (وعد) على الأرض لا تعرف ماذا حل بها بعد تلك الواقعة فهي تستشعر نفسها عندما يلمسها (يحيى) هل هذا طبيعي رغم كل ما فعله بها؟

هل يكون (يحيى) قد أصاب قلبها بالتعاطف معه رغم كل ما تمر به من أحداث؟

كلها تساؤلات دارت في عقل (وعد) وهي لا تستطيع أن تسيطر على أفعالها..

دخل عليها مرة أخرى (يحيى) غرفتها ولكن هذه المرة يحمل بين يده طعاما وبعض الملابس التي كانت موجودة في اليخت..

دخل عليها غرفتها فوجدها جالسة على الأرض شاردة العقل تحدث نفسها

أراد أن يفيقها من غفلتها فنادى عليها بهدوء شديد:

- وعد.. يا وعد.

تلتفت إليه (وعد) وتنظر إليه لتجده قد أحضر لها بعض الطعام والملابس..

ابتسمت أخيرا (وعد) فهي تشعر بالجوع فهي لم تتذوق طعم الأكل منذ ليلة أمس.

اطمأن (يحيى) قليلا عندما ابتسمت (وعد) في وجهه وقال:

- دلوقتي تفطري عشان حابب أحكيلك على اللي حصل امبارح..

تركت (وعد) الطعام وبدأت تنظر إلى (يحيى) منتظرة منه أن يتحدث لتعرف مستقبل تواجدها هنا وكيف ستسير الأمور معها.

تحدث (يحيى) قائلا:

- حاضر حاضر متبصيليش كدا نظراتك بتقتلني من جوة.

(وعد) بكلمات مختصرة قالت:

- اتكلم يا (يحيى) ناوي على إيه وإيه اللي حصل امبارح انت حابب تحكيه؟

جلس (يحيى) أمامها على الأرض وبدأ بالحديث أخيرا:

- امبارح (مجدي) جوز أختك كلمني وهددني إني لو مكملتش لعبته القذرة دي هيروح يقدم فيديو الواقعة للمحكمة ويبقى منها أنا أخدت جزائي وانتي تتفضحي زي ما هو عايز.

(وعد) باندهاش كبير وبتذمر شديد قالت:

- فيديو إيه؟!

يحيى في حالة انكسار شديدة رد قائلا:

- الفيديو اللي صور اللي حصل بينا يا (وعد).. ما أنا بغبائي بعتهوله على الميل.

أنا مش خايف على نفسي من المحاكمة أنا خايف عليكي انتي وعلى اللي هيتقال عليكي بعدها.

أبتسمت (وعد) بهدوء شديد وقالت:

- متخافش يا (يحيى) أنا راضية باللي هيحصل ولو عاوز انت تهرب ولا تخلص مني فأنا تحت أمرك.

كلمات مؤثرة قالتها (وعد) أيقن وقتها (يحيى) أن وعد ليست على يرام جراء تصرافتها وكلامها غير المفهوم..

رد (يحيى) في حالة اندهاش كبيرة:

- وعد انتي كويسة..؟ حاسك مستسلمة رغم كل اللي حصل ومش فارقة معاكي ولا أنا صعبت عليكي ولا إيه مالك بس؟!!

ابتسمت (وعد) وقالت:

- أنا نفسي معرفش مالي حالة غريبة مسيطرة عليا ومخليناني مش عايزة أنتقم منك أو أكون سبب إيذائك.

ممكن أكون اتعاطفت معاك بعد سماع قصتك اللي جعلت منك حد تاني مفيش حاجة تهمه غير الفلوس.

شخص قد تعدى كل الخطوط الحمراء ولكن بسبب ظلم والديك ليك فأصبحت بين نزوات أمك وفلوس أبوك الفاسدة كلاهما خيارين أصعب من بعض.

ولو كنت مكانك لاخترت الهرب!!

تعرف يا (يحيى) كنت دايما بتمنى أن أكون صحفية أقدر أغطي الأحداث والوقائع ودلوقتي بقيت أنا الحدث نفسه.

كان بإمكاني إني أكون صحفية شهيرة ونتقابل ولكن كنا ممكن نتقابل وأنا بغطي أحد قضايا الفساد اللي بتتولى سلطتها.

كان بإمكاني ولكن وفاة أبي وأمي رحمة الله عليهم جعلت مني إنسان تاني لا يفكر سوى بحضن رجل يحتويني ويكون لي السند والعون.

قد يكون هذا سبب أنني استشعرت كل لمسة قد تحركت يدك بها على جسدي!!

- وهتعملي إيه دلوقتي يا وعد إيه قرارك هتسلمي الأرض لجوز أختك يتصرف فيها!؟

سؤال مرره (يحيى) ليعرف قرار وعد.

(وعد) بابتسامة الرضا التي تعودت عليها ردت وقالت:

- تعرف يا (يحيى) أنا عمري ما كنت بفكر في الفلوس قد ما كانت خايفة دايما على إخواتي.

محدش عارف حقيقة الموضوع.

كل اللي فكر فيه الجميع إني أمتلك أرض تقدر ب١٠ مليون جنيه.

وإني كنت بفكر أخبي الخبر عن الجميع وآخد فلوس الأرض لوحدي دون النظر إلى إخواتي.

لكن الحقيقة اللي غايبة عن ناس كتير إني فعلا ورثت أرض ولكني تفاجأت بيها زيي زي أي حد.

ومكنتش على علم بالموضوع مطلقا ولما عرفت بالموضوع استأجرت محامي عشان أقدر أعرف التفاصيل القانونية اللي نحصل بيها على الأرض.

فكان في نزاع قائم بين البنك وبين والدي على الأرض دي وبعد وفاته البنك أعطى مهلة ليظهر أي وريث شرعي ليحصل على الأرض وإلا ستكون الأرض من نصيب البنك وتعود إليهم والمهلة دي تنتهي بعد بكرة.

كنت بعمل كل ما في وسعي عشان أقدر أحصل على الأرض عشان متضيعش علينا فرصة عظيمة زي دي.

ونظرا لضيق الوقت فا معرفتش حد بالموضوع حبيت تكون مفاجأة لو حصلت على الأرض وبعدها أعلن عن الموضوع.

(وعد) في حالة من عدم التوازن الذي ظهر عليها بدأت تضحك بسخرية شديدة وأكملت كلامها وقالت:

- هههههه كل تلك الخطة جت على فشوش فالبنك هياخد الأرض بموجب عدم ظهور وريث شرعي ليها بعد بكرة بعد انتهاء المهلة..

ضحك (يحيى) بسخرية شديدة لا يصدق ما يسمعه وبدأ يضرب كفا على كف من هول ما سمع ورد قائلا:

- سبحان الله كل اللي خطط ليه (مجدي) طلع على الفاضي.. دلوقتي مفيش قدام (مجدي) غير إنه يرضى بالأمر الواقع.

أو يطربقها على دماغ الكل ويقدم الفيديو اللي معاه للمحاكمة ودا اختيار جايز جدا فا بعد ما يعرف (مجدي) إن كل شيء كان بيرتب له أصبح بلا فايدة سيقلب الطاولة على الجميع.

مش خايفة يا (وعد) من الفضيحة اللي اتسببت فيها ليكي..؟

سؤال طرأ في رأس (يحيى) فجأة بعدما أصبحت الفضيحة على الأبواب جراء ما سيقوم به (مجدي) عندما يعلم أن ليس هناك أرض وفلوس وكل شيء انقلب ضده..

أجابت (وعد) بهدوء وقناعة وقالت:

- زي ما انت مش خايف إنك تتحبس وتتعاقب أنا كمان مش خايفة من الفضيحة!!

اندهش (يحيى) من ردة فعلها ورد قائلا:

- أنا هتعاقب عشان عملت حاجة غلط لكن انتي تبقي راضية ليه بالعقاب والفضيحة وانتي ضحية!

ابتسمت (وعد) وردت قائلة:

- اتفقنا قبل كدا إن أنا وانت ضحية لكل اللي بيحصل انت ضحية أبوك الفاسد وأمك المستهترة.

وأنا ضحية الوحدة التي جعلتني أقبل الوضع دا من غير ما أتذمر منه فكلانا ينال ما رتب له القدر.

فلن نستطيع أن نغير من القدر شيئا وما كتب هو ما سيتحقق فلا داعي للخوف من شيء هو من صناعة القدر اترك الأمر يمضي فحسب..

مازالت الدهشة تسيطر على (يحيى) وعلامات الاستفهام تحيط بكل كلمة وحرف خرج من لسان (وعد) ولا يعرف بماذا ينطق ولكنه شعر أنها بحالة غير طبيعية جراء ما حدث لها وكان هو السبب فيها.

أصبحت (وعد) فاقدة للشعور بكل شيء يحدث من حولها، فقدت عقلها وأصبحت مستعدة أن تعاقب على شيء لم تكن بيدها شيء به.

شعر أنها ليست على ما يرام فأراد أن يتركها وحدها قليلا لكي تستريح وخرج وتركها وأغلق عليها باب الغرفة من الخارج دون التفوه بأي شيء.

ظل (يحيى) صامتا ومن ثم غادر الغرفة بكل هدوء تاركا خلفه العديد من التساؤلات التي لم يجد لها إجابة حتى الآن.

الفصل السادس

"رسالة الوداع"

وعند الفراق تأول الصرخات في الحزن ويلامس

القلب برد الشتاء.

مر أسبوع كامل لم يتغير به شيء، كل المشاهد أصبحت روتينية رديئة الجودة.

لا نعلم متى وكيف سينتهي بهم المطاف وكيف ستصمد (وعد) دون انتقام.

ألوان السماء أصبحت باهتة للغاية والموج هادئ لا يتحرك من مكانه وكأنهم يشعرون بالحزن على ما حل بوعد.

كما شعر (يحيى) بالندم الذي وجد له مكانا في قلبه فلم يعد يتسع قلبه لشيء بعد حالة من إفاقة الضمير التي سيطرت عليه في الآونة الأخيرة.

كاد قلبه ينفطر من شدة ما قامت به يده وبدأ يستفيق أخيرا ولكن كان هذا بعد فوات الأوان.

أسبوع كامل لم يتحسس أيامه، انتهى كل الكلام وبقي مطأطئ الرأس أمام حنان وعطف (وعد) غير المفهوم تجاهه رغم كل ما أقدمت يده ضدها.

أصبح يشعر بالخجل من نفسه ولا يستطيع أن ينظر إليها من قريب أو من بعيد أصبح جليس سطح اليخت يتألم من سطوع الشمس وحرارتها في النهار.

ومن برد الليل القارس في كل مساء.

وأصبحت (وعد) لا تفارق غرفتها وكأنها مسجونة، يترك لها الطعام أمام باب غرفتها وينتظر من بعيد ويراها وهي تأخذ الطعام وتغلق الباب سريعا.

أصبحت في حالة يرثى لها لا تحدث أحد انقطع الكلام بينهما منذ آخر مرة وأصبح لا يعرف كيف يتصرف وكيف سينتهي بهم المطاف.

أصبح يتمنى الموت كل لحظة وكل يوم عن اليوم الذي يسبقه ويفكر في الأمر ويتراجع ويجد أنه لا مفر إلا من المحاكمة ومواجهة الناس بشرور أعماله لينال العقاب الأمثل لها.

هو هنا لا يعرف ما يدور في الخارج ولا يستطيع أن يفكر حتى بما يجب أن يحدث كل ما يعلمه أنه قد تسبب في فضيحة عمياء لا توجد بعدها فضيحة لبنت لم يكن في يدها شيء سوى أنها أحبته بكل صدق ووثقت به وتركت جسدها يلهف من فرط الاشتياق.

كل شيء أصبح جاهزا ومرتبا ليمثل أمام المحكمة في جلسة الاثنين القادم بعدما قدم (مجدي) الفيديو المصور لتلك الواقعة وانتشر الخبر وانتشرت معها تلك الفضيحة على مواقع التواصل الاجتماعي وأصبح

حديث العالم يدور حول فتاة اغتصبت على يد رجل الأعمال الشهير (يحيى حامد).

أتت إليهم الفرصة وبدأت الكلاب تنبح في المواقع.. نعم هو مرتكب الجريمة تحدثوا عنه بكل سوء ولكن لمَ الكلام عن فتاة أصبحت مشردة على القنوات الفضائية.

وكأن حرمة البيوت أصبحت مباحة على الهواء تنهش بها تلك الأصوات التي تدعي ثوب الوطنية وهي في الأساس تقوم بفضحها والمساس بشرفها الذي هتك على يده.

هو لا يعرف كيف يتصرف وكيف يواجه (وعد) بعدما انتشرت الفضيحة على مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية التي وجدت من تلك الواقعة حدثا أهم من الحروب الداخلية التي تمر بها البلاد للحديث عنه.

وأصبح حديث العالم فيديو لا يتعدى بضع دقائق ولكنهم أنتجوا منه فيلما سينمائيا لا حديث ينشر غيره ولا خبر يكتب بعده.

مر نهار الشمس ويحيى لا يستطيع أن يتحرك من مكانه كما هي عادته ليقدم لها الطعام والماء ولم يسمع صوتا لها يأتي من الداخل منذ فترة.

خائف عليها بالتأكيد ولكن هاتفها معها من الممكن أن يكون أحد أخبرها بانتشار الواقعة بشراسة ففضلت البقاء بعيدة عنه.

وإذا علمت بالموضوع كيف ستكون المواجهة من جديد!!؟

ووسط حالة الحيرة والدهشة التي سيطرت على (يحيى) أتته فكرة قد تكون هي طوق النجاة لها ويمكنه أن يصلح ما أفسده ولو قليلا.

لقد فكر جديا أن يتزوجها وبذلك يصبح هذا الفيديو لا شيء لأنها ستصبح زوجته أمام الجميع..

نعم أتته الفكرة متأخرة وعليه أن يواجهها بالأمر لن يبقى مكتوف الأيدي في مكانه ولا يعرف ما يدور بها يجب أن يتحرك للإعلان عن زواجه منها لينقذ ما يمكن إنقاذه من تلك الفضيحة الشنعاء التي تسببت بها يده.

بدأ بالفعل (يحيى) بالتحرك نحو غرفتها بعد أسبوع كامل قاطعها فيها خوفا من المواجهة من جديد ولكنه اليوم قرر أن يواجهها لينقذ ما يمكن إنقاذه.

وبدأت خطواته الممتدة تقربه شيئا فشيئًا من غرفتها إلى أن وصل أمام باب غرفتها.

يشاور عقله هل سيترك الباب أم يبقى هنا ينتظر أي إشارة منها ليدخل بعدها إلى غرفتها بهدوء شديد حتى لا تنزعج منه.. أراد أن ينهي ذلك الجدل الدائر في رأسه.

وبقي على هذا الحال لمدة لا تقل عن العشرة دقائق يشاور عقله ولا يستطيع أن يأخذ قرارا.

ولكنه سرعان ما أفاق من غفلته وقرر أن يواجهها بقرار زواجه منها وبدأ يطرق على الباب في انتظارها لتفتح ويطمئن عليها..

مرات عديدة يطرق بها الباب وهي لا تجيب وبدأ التوتر يظهر على ملامح (يحيى) وينادي عليها قائلا:

- وعد افتحي أنا عارف اللي ممكن تكوني عرفتيه..

عارف كل حاجة اتسببت فيها ليكي هنا وأنا جاي عشان أقدم ليكي فكرة الارتباط لازم نتجوز ودا الحل الوحيد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

افتحي الباب يا وعد طمنيني إنك لسه عايشة وفيكي النفس وإلا والله هموت نفسي وأرتاح من عذاب الدنيا وهبقى رايح لعذاب الآخرة وأنا مستريح.

وعد! يا وعد!! مش بتردي عليا ليه بالله عليكي تفتحي أشوفك بس بخير.

وبدأ (يحيى) يفقد أعصابه ويرج الباب من شدة الطرق عليه وينادي عليها باسمها بصوت مرتفع وهي مازالت لا تجيب.

لم يجد (يحيى) خيارا آخر سوى أن يكسر الباب ويدخل عليها.

وإذا به بعزم ما يملك من قوة أقدم على كسر الباب وكانت المفاجأة (وعد) ليست بالغرفة وليس لها أي أثر على الإطلاق!

بدأ (يحيى) بحالة هيسترية يفتش عنها في كل مكان في اليخت فلم يجدها

ثم عاد لغرفتها من جديد ليجد أي دليل على اختفائها المفاجئ.

وأخيرا وجد على سريرها رسالة مكتوبة بخط يدها وكأنها رسالة الوداع.

فتح (يحيى) الرسالة مسرعا متلهفا على كل كلمة فيها وبدأ يقرأ رسالتها بتمعن شديد جالسا على سريرها وبدأ بالقراءة أخيرا بصوت خافت حزين..

وجاء مضمون الرسالة:

(يـــحـــيى)..

كلماتك عانقت القلب بحزنه وبعده وتلك الرسالة رسمت ملامح الفراق لكلينا

عندما نحيا على صوت من أحببنا وتطير القلوب فرحا بلقاء حبنا. هي لحظـــــــات فرح وحنان ودفء وسعادة لا توصف.

وعند الفراق تأول الصرخات في الحزن ويلامس القلوب برد الشتاء. وننتظر أن يأتي صيف تدفأ له القلوب وشمس تنير الدروب. فهذه هي الحياة يا يحيى لقاء ووداع.. حب وفراق... فرح وحزن. وكله تزول ويحيا القلب على أمل الحياة وما أروع الحياة عندما يملؤها الأمل دائما.

ولكن سرعان ما يفقد الأمل بريقه.

كان حبك يغمرني من اللحظة الأولى فلم أشعر بنفسي.

أردت أن أترك لك رسالتي ووداعي عليها.

اليوم أودُ أن أقولَ لكَ وداعا.

إكراما لكلِّ شيءٍ جميل لم أحظَ به معك.

فلا أستطيعُ أن أرتدي قناعا أكذب بهِ نفسي كحلمٍ عَسير

أحببتكَ يوما.. والحبُّ لم يَكن خِداعا بل كان فيهِ صدقٌ وعشقٌ وفرحٌ كَبير، لكن كيفَ لنا أن نعيشَ على صدى الوادي تباعا، ونكرِّر الوداعَ

بعدَ كلِّ فجرٍ أصيل، وكيفَ لنا أنْ نُهَمِّشَ الحُبَّ زَورا، فنكتبُ الآهاتَ في كلِّ ليلٍ مَطير.

(يـــحـــيى)..

اليومَ أقولُ لك وداعا.. وليكن بيننا الوداعُ الأَخير.

فبعدَ الآنَ لن يكونَ لقاء.

ولن يعمِّرَ بَينا حبٌّ وَفير.

بعدَ اليومِ لن أرى سِوى خَيالي.

ولن تعكِسَ مِرآتُكَ سِوى طيفك الوَحيد.

لكني بعدَ هذهِ النِهايةِ أودُّ أن أُغدِقكَ شُكرا.

والشكرُ من القلبِ النَدِّي ليسَ مُجردَ تَعبير.

الشكر على لحظات حب عشت عليها في الماضي.

ولمسات أعادت إلى جسدي الروح

(يـــحـــيى)...

الحياةُ لن تتوقُفُ عُلينا يوما..

ولن تُباعِدَ دَوما بينَ عاشِقٍ وحَبيب..

لكنَّ الحياةَ أرْخَتْ سِترَها على حُبّنا أبدا..

حتى تحد ما بينَ الواقعِ والأساطير..

وتجعلَ النورَ بحقيقتهِ يُضيء فِعلا بعيدا عن مشاكلي والهموم..
والحبُّ لطالَما كانَ واضحا لا يقبلُ البُعدَ والتأجيل..

لذلك أَمضي اليومَ مُودعةً..

حيثُ الوداعُ كُتِبَ ليتحرر القلبُ المُستنير..

افعل ما شئت واتخذ ما تظنه صحيحا..

من أجلك أنت فقط وليس من أجلي.

فأنا الآن غير موجودة إلا ميتة أو فاقدة للسيطرة.

حاولت من أجلي وأردتني أن أنتقم منك، ولكني لم أرَ في الانتقام سبيلا للحياة.

أعطيك فرصة الاختيار فعليك بها.

ومن هنا أنهى (يحيى) قراءة تلك الرسالة وبدا عليه الاندهاش والذهول.

وبدأت التساؤلات تدور في رأسه بشكل عشوائي جعلته يشعر بالألم الشديد في رأسه يكاد أن يفتك به في الحال..

تساؤلات لم يجد لها إجابة حتى الآن.. أيمكن أن تكون قد ألقت بنفسها من هنا وماتت؟ أم تكون هربت؟ ولكن كيف ونحن في وسط مياه النيل لا يوجد منفذ به للهرب.

يا إلهي ماذا فعلت يدي وكيف سأتصرف كيف! لا أعلم! لقد شتت عقلي ولم يسعني أن أفكر في أي شيء.

وبدأ (يحيى) يفقد أعصابه تدريجيا ولكن سرعان ما جاءته فكرة.

أن يتصل بأختها (مي) ليخبرها بالأمر، قد تكون على علم بمكانها أو تكون هي من رتبت لها الهروب.

وأخرج (يحيى) هاتفه مسرعا للاتصال بـ(مي) لتبين الأمر..

(مي) في حالة هيسترية ترد على مكالمة (يحيى) بعدما علمت أن أختها قد اختفت وفي تذمر شديد قالت:

- انت بتقول إيه مش كفاية اللي عملته فيها ودتها فين يا (يحيى)!!؟

قتلتها عشان تتخلص من جريمتك وجاي تكلمني تسألني عليها وهي كانت بين إيديك انت اللي محتجزها!!؟

(يحيى) لو أختي معرفتش هي فين خلال ساعتين هقدم فيك بلاغ بقتلها والتخلص منها للهروب بفعلتك!!

هما ساعتين يا (يحيى) ونتقابل يوم الاتنين في المحكمة وتبقى التهمة اتنين وتلاتة، خطف أنثى والتعدي عليها واغتصابها وقتلها وإخفاء ملامح جريمتك!

رد (يحيى) وهو يتلعثم بشدة لا يستطيع أن يتمالك نفسه يشعر أن الكلام ثقيل على لسانه ولكنه رد بحزم شديد قائلا:

- (مي) وهو يعني أنا لو كنت عايز أتخلص منها كنت عملتها من بدري.

افهميني يا مي السبب في كل دا راس الشيطان جوزك (مجدي) منه لله هو السبب في كل اللي وصلنا ليه دلوقتي.

عايزك تتأكدي إن (وعد) هي الوحيدة اللي ضميري صحي على إيدها.

رغم كل اللي حصل رفضت تنتقم مني هقوم أنا أقتلها مستحيل مستحيل يا (مي)!!

صمتت (مي) ولم ترد على كلمات (يحيى) التي تظنها مكيدة جديدة منه وهي لا تعلم أن (يحيى) قد تغير بالفعل..

(يحيى) يبكي والدموع تتساقط منه كاللهيب قائلا:

- سكوتك دا يا (مي) بيقول إني قتلتها ودا محصلش.

(وعد) سابتلي رسالة على سريرها وكانت بتودعني بيها.

من المؤكد إنها انتحرت ولكني ماقتلتهاش أقسملك.

كاد ينفطر قلب (مي) بعد تلك الكلمات شعرت من كلام (يحيى) أنه صادق ولكن حسرة الفراق الحقيقي لفقدان أختها وهي تعلم أنها ماتت بطريقة أو بأخرى فهي لم تعد موجودة معهم مما جعلها تصب غضبها على (يحيى) من جديد وردت بانفعال وقالت:

- كل اللي انت بتقوله دا ملوش غير معني واحد إن (وعد) في كلتا الحالتين ميتة مبقتش موجودة وكل دا بسببك انت..!

أكيد بعد الفضيحة اللي انتشرت مقدرتش (وعد) على مواجهة الناس وفضلت الموت والهروب بعيد.

أنا مش هسامح نفسي يا (يحيى) عايزني أسامحك وأتعاطف معاك وأصدقك قولي ازاي وأنا واحدة أختها اتهتك عرضها وماتت منتحرة يعني عذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة.

صمتت قليلا (مي) وعادت لتستكمل كلامها بعدما شعرت أن قلبها يخفق بشدة شعرت أنها ستموت قهرا على فقدان أختها وبدأت بالكلام مجددا:

- وعد مش هنشوفها تاني إيدي ملطخة بدمها أنا كنت شريكة معاكم.

حتى لو ماكنتش عارفة حقيقة ما دبر لها ولكني شاركت بصمتي..

مبقاش في إيدي حاجة أعملها غير إني أموت وأحصلها يمكن دا يخليها تسامحني..

أغلق (يحيى) الخط بعد تلك الكلمات التي جعلته يشعر بعدم التوازن في جسده وثقل شديد في قدمه شعر أن أنفاسه تحبس ولا يستطيع أن يتنفس بشكل طبيعي جراء تلك الصدمة.

بدأ بالاتكاء على باب الغرفة ويده ترتجف وقلبه ينتفض من مكانه.

ومن ثم ارتطم بالأرض واصطدمت رأسه وراح يرى كل شيء بالمقلوب.

حتى فقد وعيه تماما تاركا خلفه تلك الغرفة المشئومة التي كانت شاهدة على كل شيء.

على الجانب الآخر شعرت (مي) هي الأخرى بالدوار وصداع شديد يلتهم رأسها ولا تستطيع أن تتحرك من مكانها وغابت هي الأخرى عن الوعي بعدما سقطت على الأريكة التي كنت تقف بجوارها.

وعم الصمت والسكون أرجاء جسدها المنهك بشدة وكأنها لعنة وأصابتهما معا في نفس التوقيت..

الفصل السابع

"كلبشة"

"ولم يبقَ غير زفير الحق الذي يخنقك"

قبل ليلة الاثنين وهو موعد محاكمة (يحيى) على فعلته مازال يحيى ملقى على الأرض فاقدا للوعي لا يستطيع أن يحرك قدمه من مكانها يشعر أنها قد شلت وجسده المنهك لا يستطيع أن يقاوم تلك الصدمة جراء اختفاء (وعد) المفاجئ..

هاتف (يحيى) يرن مرارا ولا يرد مازال غائبا عن الوعي لا يشعر بما يحدث حوله فقد الإحساس بكل شيء وأصبحت حواسه غير مدركة بما يدور حوله..

لكنه استفاق أخيرا على صوت تلك السرينة المزعجة الخاصة برجال الشرطة.

فبعد تحديد مكانه من قبل الشرطة أصبح في مرمى الهدف والشرطة تحيط به من كل حدب وصوب.

تلك الزوارق الضخمة التي حاوطت اليخت الذي يسكنه (يحيى) وتلك الأصوات المريبة الصاخبة التي تخرج من مكبرات الصوت مطالبين (يحيى) بتسليم نفسه هي من أفاقته من غلفته وانتفض خائفا لا يدرك حقيقة ما يحدث حوله.

فقد كان يرتب أن يسلم نفسه للشرطة للمثول أمام المحكمة في جلسة الاثنين القادم لمحاكمته على جرائمه ضد (وعد) ولكن سرعان ما انقلب

الأمر عليه وازداد الأمر سوءا بعدما قدمت (مي) فيه بلاغا بتهمة قتل أختها وإخفاء ملامح جريمته للخروج من ورطته وجريمته التي ارتكبها في حق أختها..

تلك الاتهامات سارعت في تحديد مكانه والتحرك نحوه للقبض عليه في الحال.

هو مازال لا يصدق ما يحدث من حوله والعديد من رجال الشرطة اقتحموا اليخت وأصبحوا على بعد خطوات قليلة للإمساك به.

(يحيى) يتحرك مسرعا تجاه غرفة (وعد) أراد أن يثبت حسن نيته ويريهم تلك الرسالة التي تركتها له (وعد) قبل أن تغادر وتختفي.

ولكن سرعان ما كان رد الشرطة بإطلاق بعضا من الأعيرة النارية في الهواء لإيقافه في اعتقادهم أنه يريد الهرب والفرار بفعلته..

بعد سماع دوي إطلاق النيران توقف (يحيى) عن الركض فجأة وبدأ جسده يرتعش بشدة من الخوف رافعا يده للأعلى راكعا على ركبتيه في إشارة منه للاستسلام.

وقبل أن ينطق بكلمة واحدة ارتطم بالأرض بعدما دفعه رجال الشرطة لتقيده من يده ووضع الكلبش بها والإمساك به في مشهد أقرب ما يكون نهاية مأساوية على ما فعله (يحيى) طوال مسيرته.

تحرك (يحيى) مع الشرطة ومازال عقله غير مدرك ما حدث تغير كل شيء في بضع دقائق وأصبح يحمل على عاتقه جريمة أخرى ولكن هذه المرة لم يرتكبها وقد تكون المرة الأولى التي يكون بها مظلوما على شيء لم تفعله يده.

ظلمة في الصدر لا سبب لها ولا مبرر لوجودها أشبه بمنزل مظلم ككهف مظلم لم تزره الشمس منذ ألف عام ولم تعبث أرضه من قبل قدم إنسان.

أصبح الظلام يسيطر على عقله ولا يستطيع التفكير.

كلما حاول السير يصطدم جسده المنهك بشيء تتمايل خطواته وتتباعد عن بعضها في حالة من عدم التوازن يمر به جسده.

لا محالة هذه المرة من خفض سلطة العدل بعدما تجاوزها مرارا وقد أصبح على أهبة الاستعداد ليحاكم على جرائمه وفساده المطلق.

قد يشعر بتدفق الدم دون أن يراه وإذا نجح في السير سوف يصطدم بإحدى جدرانه في الأخير ويعود إلى نقطة الصفر فلا سبيل وقتها للهرب.

لا سبيل لإيجاد وإشعال عود كبريت لأنك استنزفت كل الأكسجين في الفساد ولم يبقَ غير زفير الحق الذي يخنقك.

كلمات كانت تمر من أمام (يحيى) وعقله الباطن مازال غير مدرك ما يحدث.

بدأ بالرحيل عن ذلك اليخت تاركا خلفه تلك الرسالة التي كتبتها (وعد) قبل أن تهجم الشرطة عليه وتحاصره.

رحل وخلف بعضا من آثار الدمار في ذلك اليخت وتلك الغرفة المشئومة التي كانت سببا وشاهدا على كل شيء.

ولم تبقَ غير ذكرى سيئة ودماء نزفت من أجل بعض من شهوات حب المال التي دائما ما يخلف خلفها الفساد ونهايته دائما العقاب.

أخيرا غادر (يحيى) اليخت برفقة رجال الشرطة وعينه تذرف دموعا وألما دون أن يدري أو يشعر بما يقوم به جسده من حركات لا إرداية..

بدأ أحد رجال الشرطة بالتهكم بالكلام على (يحيى) قائلا:

- زعلان من اللي حصل وبتعيط وحزين وندمان لكن انت في الحقيقة حيوان متعرفش يعني إيه نخوة ولا يعني إيه عقاب.

ودا حالكم يا سادة رجال الأعمال كل حاجة تداس تحت رجليكم بكل سهولة ويجي محامي بثغرة في القانون يطلعكم منها زي الشعرة من العجينة مش كدا ولا إيه.

ابتسم (يحيى) في وجه ذلك الشرطي الذي بدا عليه الغضب بشدة في طريقة كلامه واكتفى (يحيى) بالنظر إليه والصمت مع ابتسامة تملأ جنبات وجهه.

ولكن الشرطي وجد من هذه الابتسامة سخرية في حديثه وأكمل كلامه قائلا:

- بتضحك ماشي يا عم اضحك براحتك بس المرة دي مش زي كل مرة ومش محامي ولا حتى رئيس جمهورية يقدر يطلعك منها المرة دي.

عارف ليه عشان المرة دي مش قضية فساد لا دي قضية شرف واغتيال روح مسكينة لا حول لها ولا قوة.

الشرف اللي انت متعرفش عنه حاجة غير إنك تقدر تنساه بشوية فلوس يغطوا على جرايمك.

بس المرة دي صدقني مش هتشوف الشمس تاني دا إذا خرجت.

عايزك تقعد تفكر مع نفسك كدا في عدد السنين اللي ممكن تقضيها في السجن دا لو مكنش حكم القاضي إعدام.

وتفكر كويس في الناس اللي انت ظلمتها طول مسيرتك وتعرف أن عدل ربنا عمره ما بيروح ولو بعد حين.

مازال صمت (يحيى) المبهم يسيطر على المشهد، فكيف له أن يتحدث عن ما حدث وفمه مملوء بالذكريات والحزن والفقد، علام الأسف والحزن.. إن حياته بكل تفاصيلها لا تستحق أسفا ولا حزنا.

هو ليس غاضبا من كلامه عندما يقول ما يمزق قلبه بالحزن والأسى يبقى كلامه منطقي.

والحزن الذي يشعر به والندم الذي ملأ وجدان قلبه ما هو إلا قسوة يفرضها المرء على نفسه عندما يشعر أن ضميره قد أفاقه من غفلته.

فقمّة الذل أن تجتمع فيك هيئة الحزن والتقزز من نفسك جراء ما قامت به يدك.

ثمة خسارات كبيرة إلى حد لا خسارة بعدها تستحق الحزن.

خسارة نفسك ونفسك ثم نفسك هي الخسارة الكبرى التي تستحق الوقوف أمامها.

إنها المرة الأولى منذ وقت طويل التى يشعر فيها بأنه ممتلئ بالندم والحزن بدلا من الاكتفاء بالنظر إلى الأموال والنساء بكل عزة وفخر.

بقية الوجوه التي كان سببا في ظلمها لم يرَ في تعابيرها سوى مزيج من خوف وحزن وغضب واستسلام.

أن ترى الحزن والدموع والنحيب في وجوه من كنت سببا في إيذائهم بعدما كانوا من قبل ضاحكين مبتسمين فهذا بحد ذاته مؤلم..

وصل أخيرا (يحيى) برفقة رجال الشرطة إلى قسم شرطة المعادي.

وكانت المفاجأة عندما وصل للقسم وجد في انتظاره (مجدي) وكأنه عاد ليشمت به ولكن سرعان ما فاجأه (يحيى) ببعض الكلمات بغضب شديد بمجرد أن رآه قائلا:

- جاي ليه يا (مجدي) جاي تشمت ولا تكمل لعبتك ولا جاي تطلب مني مجبش سيرتك في التحقيق إيه خايف ما كفاياك اللي حصل من تحت راسك سبني سبني والنبي يا (مجدي) أنا ولا طايق أشوفك أو أسمع منك حاجة!!

ابتسم (مجدي) بعد حديث (يحيى) ورد بسخرية قائلا:

- تصدق يا (يحيى) ماتصورتش إني أشوفك لابس الكلبش دا في إيدك في يوم

وكنت بس ازاي هتلبسه وأنا المحامي بتاعك بس بردو انت غلطان عشان شكلك كدا واقف خايف ومش على بعضك اللي معاه محامي زي (مجدي) صعب يخاف ماتقلقش يا صاحبي.

ابتسم (يحيى) ورد بتذمر:

- مخافش وهو اللي أنا فيه دا مين السبب فيه وازاي عايزني أصدقك بعد اللي حصل!

(مجدي) بنفس تلك النظرة الهادئة رد قائلا:

- اللي حصل دا انت السبب فيه يا (يحيى) مش أنا خلي بالك من كلامك.

(يحيى) والحسرة تملأ وجهه رد قائلا:

- أنا اللي دبرت لكل حاجة كانت في الأول خسرانة مش أنا اللي رتبت للمقابلة ولا أنا اللي جبت معلومات غلط عن الأرض مش أنا يا (مجدي) اللي هيشيل الليلة لوحدي!!

رد (مجدي) بانفعال شديد قائلا:

- (يحيى) مش أنا اللي وافقت على العملية من الأول ولا أنا اللي اغتصبت (وعد) وأفقدتها عذريتها ولا أنا اللي قتلتها وخفيت ملامح جثتها مش أنا يا (يحيى) أنا يدوب كنت بخطط وانت اللي بتنفذ.

بس متفقتش معاك تقتلها عشان تداري على جريمتك!

مش ذنبي إن حب الفلوس وشهواتك عمتك وكنت بتنفذ وانت مغمض عينك.

وموضوع الأرض اللي انت بتقول إني جمعت معلومات غلط عنه بردو انت السبب لأنك عرفت بالحقيقة ومابلغتنيش لحد ما مهلة البنك خلصت وراحت معاها الفلوس.

عاجبك حالك كدا لا طولت سما ولا حتى أرض وزيد فوق كل دا جريمة قتل.

(يحيى) هذه المرة بهدوء شديد رد قائلا:

- تعرف يا (مجدي) وانت عارف دا كويس إني معرفش أدبح فرخة وإني مقتلتهاش وانت متأكد من دا.

ولكن اللي دايما كنت بسأله لنفسي أنا إيه اللي خلاني في يوم أمشي وراك سؤال ملقتش ليه إجابة واحدة غير إن المصالح كانت بتحكمنا.

الفساد يطلع من تحت إيدي وانت تيجي ورايا زي الخدامة تنضفه وكله بالقانون وقدام جيب الحاوي لسه مليان فلوس هتفضل ماشي وراه زي الكلب اللي ميعرفش حتى يكون وفي.

(مجدي) رافعا يده للتصفيق على كلمات (يحيى) بسخرية شديدة ورد قائلا:

- توء توء لا يا بابا لو عايز تفتح في المواضيع الكلام مش هينفع هنا.

بكرة في الجلسة نفتح كل حاجة ونشوف مين فينا اللي هيخرج خسران من اللعبة عايز تعرف مين انت يا (يحيى) اللي هتخرج خسران أنا يدوب محامي شاطر بيعرف يستغل ثغرات القانون وبيشتغل عليها كويس وأعتقد إن القانون ممنعش دا.

لكن انت التلاعب في الأموال ونزوات نسائية لا تعد ولا تحصى مع شوية ملفات كدا لو فتحناها هتفتح عليك طاقة جهنم بحالها ومش هتعرف تقفلها زي مثلا الملجأ مش بيفكرك بحاجة ولا نسيت!!

صعق (يحيى) بعدما ذكر (مجدي) اسم الملجأ من جديد أمامه وكأنه يريد أن يستفزه ليخرج أسوأ ما فيه وظل صامتا ولم يتفوه بكلمة واحدة..

أكمل حديثه (مجدي) وهو ينظر إلى (يحيى) بهدوء شديد وقال:

- إيه يا (يحيى) مالك اتصدمت كدا ليه!!؟

أهو ملف الملجأ دا لوحده فيها ١٠ سنين. اه دا تزوير في أوراق رسمية.

يعني بعد ما كان اسمك (يحيى) بس اه منا معرفش ليك اسم تاني غير (يحيى) وبين قوسين كدا (الملجأ) بقى اسمك (يحيى حامد عز الدين) أكبر رجل أعمال في الشرق الأوسط.

وبقيت من مجرد طفل متربي في ملجأ ايتام إلى ابن رجل الأعمال الشهير (حامد عز الدين).

(يحيى) أنا بحذرك للمرة الأخيرة لو حابب نفتح خلي الموضوع دا عليا أما بقى لو عايز تسمع يبقى تقعد وتسمع الكلمتين اللي عندي وبعدها ابقى قرر.

جلس (يحيى) على تلك المقاعد المخصصة للانتظار بالقسم في انتظار العرض على مأمور القسم ومن بعدها دخول الحجز استعدادا لجلسة الغد.

جلس وجسده منهك وتفكيره قد شل ولا يستطيع أن يفعل شيئا سوى أن يسمع ما يتفوه به مجدي بكل هدوء جلس وكله آذان صاغية.

وبدأ (مجدي) بالكلام أخيرا:

- بص يا يحيى بكرة أنا مش عايزك تنكر أي حاجة انت عملتها في وعد وأنا هتصرف..

(يحيى) بتعجب رد:

- أنا كدا كدا مش ناوي أنكر أي اتهام موجه ليا ماعدا الشروع في قتل وعد لأني والله العظيم ماقتلتهاش ولا أعرف مكانها حتى.

أكمل حديثه (مجدي) قائلا:

- انفي أي حاجة انت شايف إنك معملتهاش بس كله في حدود القضية دي.

لكن إياك تفتح بوقك بكرة في أي ملف يخص فسادك لأنه هيجيب رجلين ناس كتير تقال في البلد.

ومتخافش أنا مش بتكلم على نفسي ومش خايف لأنك عارف أنا هطلع منها ازاي وبكرة بعد الجلسة أقولك مبروك**!!**

اندهش (يحيى) من كلام (مجدي) ورد قائلا:

- مبروك إيه وانت هتعرف تعمل إيه إذا كنت بتقولي متنكرش أي تهمة تتوجهلك..

رد (مجدي) ردا مختصرا قائلا:

- ههربك وزي ما دخلتك السجن هطلعك منه.

وباندهاش كبير رد (يحيى) قائلا:

- تهربني!!؟ انت طول عمرك بتحل القضايا بشوية ثغرات في القانون لكن عمرك ما فكرت التفكير دا.

- القضية دي مختلفة يا (يحيى) دي مش قضية فساد هنعرف نحلها بشوية ثغرات في القانون.

دي قضية شرف يعني ملهاش حل غير إنك تهرب والناس الكبيرة اللي كنا بنتعامل معاهم هما اللي هيقوموا بالواجب وهما اللي اقترحوا عليا كدا عشان متفتحش الملفات القديمة.

لكن هتفكر مجرد بس تفكير في فتح أي ملف في جلسة بكرة هتبقى نهايتك وصدقني وقتها هترافع عن الضحية (وعد) وهجيبلك إعدام فيها صدقني!

خليك طبيعي بكرة وبعد لما الجلسة تخلص أيا كان الحكم مش هنسيبك وهتخرج في يومها بطريقتنا.

وبعدما أنهى (مجدي) كلماته إذا بأحد رجال الشرطة يحمل بين يده كشفا وينادي به على أسماء المتهمين..

(يحيى حامد عز الدين) الآن وقد جاء دورك في الكشف ونادى اسمك.

بدأ (يحيى) بالتحرك ببطء شديد وهو ينظر إلى (مجدي) نظرة تملؤها الضغينة والحقد والكراهية رغم ما اقترحه (مجدي) عليه ولكنه غير مطمئن لكلماته ويعلم أنه سيكون (كبش فداء) لتلك الجريمة التي ارتكبها في حق (وعد) ولا يستطيع الوثوق به بعد الآن.

بقيت خطوة واحدة ويكشف الأمر أمام الجميع، خطوة تقربه من التواجد في قفص الاتهام للمرة الأولى وهو راضي النفس وغير منزعج من أي عقاب سيناله.

هو لا يفكر مطلقا في الهروب كما أشار عليه (مجدي) وكل ما يفكر به هو أن ينال العقاب المناسب الذي سيريح جسده وعقله المنهك من التفكير بما حدث.

وقتها فقط يستطيع أن تدخل الطمأنينة إلى قلبه من جديد بعدما عرف الحق الطريق إلى قلبه وأصبح على أهبة الاستعداد للمجازاة عن جرائمه في حق (وعد) وغيرها ممن وقعوا ضحية تحت يده في الماضي..

فالضمير دائما ما يحركنا وما يدفعنا لكل شيء جيد إذا استفاق من غفلته في الوقت المناسب.

هو ذلك الصوت الخافت الذي يدوي أحيانا فيقض عليك مضجعك.

وأما الدنيا فأمرها حقير وكبيرها صغير وغاية أمرها يعود إلى الرياسة والمال.

وغاية هذه الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاما منه وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

يا من يعلم أنّ بعد الدنيا آخرة، وأنّ بعد الحياة موتا، ولابد من وقفة للحساب ومشية على الصراط، لتاب من الآن وأفاق ضميره واستعد للعقاب.

الفصل الثامن

"محكمة"

{ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }

(58)النساء

القادم صادم تابع للنهاية..

العدل أساس كل أمن، وطريق كل عيشٍ سعيد، وأمنية المظلوم، ورغبة من يشتكي الجور والبهتان.

هو التساوي بين المخلوقين، والتراحم فيما بينهم، والمحافظة على حقوقهم، والأخذ على يد جاهلهم وضعيفهم وصغيرهم.

العدل هو ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي، والمحقّ من المبطل.

قال الله تعالى:

{ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (٥٨)النساء

تلك الآية الصغيرة التي تزين ساحة المحكمة في مشهد يكتظ بالحضور ساحة القضاء العمياء التي لا ترى غير نور الحق تحت غطاء القانون الصارم الذي ينصف المظلوم وينتزع حق المسلوب من الظالم دون الاعتبار لهويته.

داخل ساحة المحكمة آراء مختلفة وتحليلات متباينة ومواقف متناقضة وشتائم متطايرة عبر الأثير واتهامات متبادلة بين الحضور، وفي بعض الأحيان بين وسائل الإعلام الكثيرة التي تغطي تلك القضية، خلافات تعودنا عليها بعضها في الساحات والمجالس والصالونات والمقاهي والمنابر، وبعضها الآخر «على عينك يا تاجر» عبر الفضائيات التي أخذت على عاتقها الكلام عن تلك القضية ولا أحد سواها يشغل حيز الإعلام.

كنا نأمل بأن تشكل نغمة توجه وتثقف وتنير الدرب وتوحد الصف، فإذا بها تتحول إلى أدوات للتشهير ونشر الفضائح للفرقة والتشرذم وإثارة الفتن والنعرات وتعميق الخلافات.

هذه الممارسات تتم بمشاركة عشرات، بل مئات من الصحفيين والحضور في ساحة من المفترض أن يكون لها بريقها واحترامها المتبادل بين الجميع.

دخلت ساحة المحكمة في فوضى عارمة، ثم بدأ بعض من الحضور بترديد هتاف "إعدام إعدام" لتحفيز المحكمة على إصدار حكم بالإعدام على رأس الفساد (يحيى حامد).

المحامين المنوط بهم الترافع عن الضحية (وعد) كانوا قد تخطو حاجز الثلاثين محامي كلهم جائوا متعاطفين مع (وعد) يتنازعون مع الصحفيين للهدوء حتى تبدأ الجلسة، بينما يقف (يحيى) داخل القفص يترقب الأمر في هدوء ويتبادل الحديث مع (مجدي) متسائلا:

- إيه يا (مجدي) كمية المحامين دول دا كدا ولا فيها أقل من إعدام كل دول جايين يترافعو عن (وعد)!!

(مجدي) بنفس الهدوء الشديد رد قائلا:

- مش عارف الصراحة العدد دا كله أمال لو مكنش إخواتها تخلوا عنها ومحدش حتى كلف محامي يترافع عنها دول جم منين!

يكمل حديثه (يحيى) بنفس لهجة الهدوء التي تسيطر عليه هو الآخر قائلا:

- أمال العدد دا كله جه منين دول أكتر من نص محامين البلد مين هيقدر يدفع أتعاب كل دول!

على حسب علمي إن (وعد) متملكش حاجة حاليا خصوصا بعد خسارة الأرض لصالح البنك ومعتقدش إن (مي) مراتك معاها الإمكانية اللي تعمل كدا

ولا (مصطفى) أخوها حتى اللي مكلفش نفسه وسأل عنها وكان متآمر ضدها أنا هتجنن يا (مجدي)!!!

ضحك (مجدي) ساخرا من حديث (يحيى) المنفعل بعض الشيء ورد قائلا:

- دول يا سيدي اللي بيسموا نفسهم جمعيات حقوق الإنسان.

كل جمعية من دول حابة تطلع في الصورة تقوم تبعت محامي ولا اتنين عشان يتقال اسمهم في الآخر بعد نجاح القضية ليهم ودا اللي هما عايزينه.

لأن القضية مفهاش جدال هيكسبوها هيكسبوها.

(يحيى) بتذمر شديد رد قائلا:

- أمال انت موجود بتعمل إيه شايفك واثق أوي إني خلاص هاخد إعدام من دلوقتي ومن قبل حتى القاضي ما ينادي على القضية!!

اقترب (مجدي) من قفص الاتهام الذي يتواجد بداخله (يحيى) حتى لا يلتفت أحد الحضور لكلامه ورد عليه مبتسما:

- وهو يعني حضرتك متوقع إيه وبعدين أنا لحد لما الجلسة تخلص مش هيكون ليا أي دور عشان محدش يشك في حاجة ومعادنا على اتفاقنا بعد الجلسة.

كل حاجة مترتبة لكن اعذرني أنا مقدرش أطلع أترافع عنك في قضية خسرانة انت عارف مش بدخل قضية خسرانة.

غير إن الضحية تبقى أخت مراتي يعني أقل كلمة هتتقال إنها مؤامرة مرتبة مننا فصعب يا (يحيى) أتواجد على المنصة النهاردة حتى لإلقاء السلام وليس للترافع عنك.

وبتنهيدة أخرجها (يحيى) من بين ضلوعه مال برأسه إلى الأمام وأصبحت أنفاسه في وجه (مجدي) مباشرة وفي تصرف مفاجئ بصق في وجه (مجدي) دون سابق إنذار وتراجع بعدها للخلف قليلا خوفا من ردة فعله!!

الدهشة والصدمة يسيطران على ملامح (مجدي) من ذلك التصرف الغريب وقال (مجدي) بانفعال شديد:

- إيه اللي انت عملته دا يا (يحيى) انت بتتحداني!!؟

وبهدوء شديد رد (يحيى) وهو مبتسم:

- سوري دي مش ليك دي عايزك توصلها للبهوات الكبار اللي باعتينك ليا تقنعني إني مفتحش بوقي بكلمة واحدة.

البهوات اللي كل شغلهم الشاغل يستمروا في فسادهم ويكملوا دوس على وشوش الناس اللي لا حول لها ولا قوة.

بس أنا خلاص مبقتش لعبة في إيديكم تحركوها وقت ما تبقوا عايزين ومبقتش فارقة معايا خلاص الملايين ولا حتى إني أخرج من هنا تاني.

عارف ليه يا (مجدي)؟!!

عشان هنا آمن مكان ممكن أعيش فيه!!

(مجدي) بنفس لهجة الانفعال رد قائلا:

- انت عارف انت بتقول إيه راجع نفسك لسه قدامك فرصة!

أبتسم (يحيى) ساخرا من كلام (مجدي) ورد قائلا:

- آخر فرصة!! فعلا هي آخر فرصة إني ألاقي نفسي.

آخر فرصة إني أرجع بني آدم طبيعي عايش مع الناس مش عليهم.

آخر فرصة إني أتحاسب وأتعاقب على كل جريمة وكل ملف فساد مشيت فيه مبقاش في فرصة تانية خلاص خلصت.

لو مت دلوقتي هبقى مستريح لأن دي الفرصة الأخيرة اللي ربنا بعتها ليا من السما فرصة لا تعوض للتكفير عن ذنوبي.

نصيحة يا (مجدي) لو خايف على نفسك اهرب.. اهرب يا (مجدي) عشان ساعتها هتبقى آخر فرصة ليك انت مش ليا!!

بدأت أبواب القاعة تغلق وبدأ الهدوء يعود من جديد إلى القاعة بعد المناوشات التي دارت بين الحضور بين مؤيد ومعارض للقضية فأصبحت القضية قضية رأي عام وليست مجرد قضية عابرة ستمر مرور الكرام..

بدأ الجميع يتأهب لبدء الجلسة.

وبينما تغلق الأبواب يحاول (مجدي) الإسراع في الخروج خوفا من كشف (يحيى) للحقائق والتي بدورها ستودي به إلى السجن..

ولكن قد فات الأوان وأغلقت الأبواب تماما وابتسامة (يحيى) المستفزة تلمع في عين (مجدي) بغضب شديد وراح مسرعا باتجاهه وقبل أن تبدأ الجلسة بدقائق وقال (مجدي) بانفعال:

- برافو عليك يا (يحيى) دا انت رتبت كل حاجة حتى إنك تحبسني في القاعة كنت عامل حسابها.

عمال تسأل في أسئلة غير مفهومة وتضيع في الوقت وبمجرد ما عينك لمحت الأبواب بتتقفل بدأت تكشف أوراق لعبتك.. بس صدقني هتندم على الحركة دي.

عاد (يحيى) للوراء قليلا ومن ثم قال في سخرية:

- تعرف يا (مجدي) انت عيبك الوحيد إيه!! إنك مفكر نفسك أذكى من أي حد وتعاليم الشيطان وأساليبه تخصصك انت بس أنا اتعلمتها منك.

والكلب اللي يعضك مرة صعب ترجع تعضه وتبقى كدا انتقمت لا انت مش كلب زيه عشان تعضه وتنتقم منه وتبقى مفرقتش حاجة عنه والناس ساعتها هتقول كلب وعض كلب زيه وخلصت.

لكن انت تجيب الكلب وتحطه جوة القفص عشان تشوف نظرة الحسرة والضيق في عيونه وإنه معدش ينبح من تاني ولا يرفع وشه في وشك تاني، فهمت يا كلب، قصدي يا (مجدي)!

بعد تلك الكلمات المدوية شعر (مجدي) بعدم التوازن في جسده وبدأ يتمايل إلى أن جلس أخيرا والعرق يصب من وجهه بغزارة وصمت ولم يرد على كلمات (يحيى) للمرة الأولى التي لا يستطيع أن يرفع صوته ليواجهه كما هي عادته وكأن كلمات (يحيى) كانت لها الأثر الذي قد ينهي به كلماته للأبد.

لم يعد في وسع (مجدي) التفكير في أي شيء غير أن تمر تلك الجلسة على خير لا يعرف ما ينوي فعله (يحيى) وكيف ستكون ردة فعله الأخيرة.

الغايـة مـن القضـاء إقامـة العـدل، ولا شـك أن القضـاء مسـئولية شـاقة، أساسـها البحـث والتنقيـب عـن الحـق لـدمغ الباطـل، والفصـل فـي دمـاء وأموال وأعراض الناس، لذلك يرتقي القاضي منصة العدالة تحت غطاء تلك الآية الشريفة التي تزين قاعة المحكمة لتبدأ الجلسة للتو واللحظة ـ مـحـكـمـة..

رفع القاضي يده مطالبا بالنداء على القضية..

ـ القضـية رقـم ١٣٩٢ بتـاريخ ١٣ ديسـمبر ٢٠٠١ المعروفـة إعلاميـا بقضية الضحية المتهم فيها رجل الأعمال (يحيى حامد).

القاضي مرة أخرى قائلا:

ـ النيابة تتفضل في المرافعة.

وبدأ ممثل النيابة مرافعته قائلا:

ـ قال الله تعالى في كتابه الكريم:

ـ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "٢٦" سورة آل عمران) }

صدق الله العظيم.

سيدي الرئيس إن العظمة لله وحده وما دون ذلك فمصيره في يوم أن يذل ويرفع من على العرش ويعاقب ويسجن كأي مواطن عادي.

فالعدل إذا طبق طبق على الجميع دون النظر للمكانة أو الاسم ودليل على ذلك هو من يحاسب أمامنا اليوم ويقبع في قفص الاتهام بعدما كان يعتلي المناصب والنفوذ ويمر على رؤوس الناس مرور الكرام وكأن يحدث شيء.

إننا اليوم أمام قضية ليست بالجديدة على مرتكبها بأن يفعلها.

فمهما حاولنا جاهدين أن نتحدث عن فساد ذلك المتهم القابع أمامكم في قفص الاتهام لن يكفي الوقت ولن نحصد حصاد ما زرعه من فساد مطلق وشرور سولتها له نفسه بعملها وتعدٍ لكل الخطوط الحمراء.

إننا اليوم عن قضية اغتال فيها ذلك المجرم كل أنواع الشرف وهتك الأعراض والقتل مع سبق الإصرار والترصد.

(يحيى حامد) الذي جعل من أمواله وسلطته مأوى لفساده الجامح الذي انتشر في أرجاء البلاد وعمت بسببه الفوضى الخلاقة.

هذه ليست المرة الأولى أن تكون ضحيته انتهك شرفها على يده الملوثة.

ولكن لم يكتفِ بإثارة دماء الضحايا السابقين وفضل التخلص من جريمته هذه المرة بقتل الضحية وإخفاء ملامح جثتها عنا بعدما شعر أنه للمرة الأولى كشف وأنه لا مفر هذه المرة من العقاب.

حابب أوضح لحضراتكم مدى السوء الذي كان يتمتع بيه ذلك الفاسد المجرم طوال مسيرته وهو فيديو ارتكاب الجريمة التي للمرة الأولى يصل إلى ساحة المحاكم.

نعم حضرات المستشارين نعم سيدي القاضي إنها المرة الأولى التي يكشف فيها النقاب عن دليل إدانة واضح لا مفر منه من جرائم انتهك بها ذلك المجرم عذرية الكثير من ضحايا.

في السابق كان يرتكب الجريمة ويصورها ويهدد ويتوعد الضحية بأنها إذا تحدثت أو تقدمت ببلاغ سيفضحها على الملأ.

وذلك نظرا لحالة الاستسلام التي تظهر عليها الضحية أثناء انتهاك حرمات جسدها بسبب منوم يضعه في مشروب ويقدمه للضحية ومن ثم يقوم بتصوير فعلته ليضمن أن الضحية ستصمت بالتأكيد.

فالناس في مجتمعنا هنا بسطاء غير مدركين أهمية تقديم البلاغ وكل ما تفكر به الضحية وقتها أنها تستسلم للأمر الواقع وتصمت وترضى بما حدث خوفا من الفضيحة.

فتذهب من بعدها ضحية بعد الأخرى والجميع يصمت.

إلى أن تجاوزت نزوات هذا المتهم كل الخطوط الحمراء ضاربا بعرض الحائط كل مواثيق الشرف التي يحثنا عليها ديننا الحنيف.

ولكن سبحان الله المعز المذل وقع أخيرا وبيده في ذلك الفخ للمرة الأولى دون أن يدري ماذا فعلت يداه.

فبعدما انتهى من ضحيته الأخيرة، الضحية (وعد محمد السيد)، ومن شدة تأثير الكحول عليه لم يدرِ ماذا فعل فقد أرسل فيديو الواقعة بالخطأ للمحامي الخاص به على البريد الإلكتروني في مفاجأة قد تودي به إلى حبل المشنقة.

وهذا ما نطلبه لتحقيق العدالة وليكون عبرة لمن يعتبر.

المحامي الخاص به الشهير أستاذ (مجدي سعد) الذي يجلس أمامنا الآن في الصفوف الأولى كان هو من يترافع عن موكله (يحيى حامد) في كل قضايا الفساد التي تعلقت بشركاته في الآونة الأخيرة.

ولكن عندما تتعلق القضية بشرف المهنة تحرك مسرعا في تقديم بلاغ للنائب العام ومرفق به فيديو الواقعة الذي وصل إليه عن طريق الخطأ.

وهذا إن دل إنما يدل على شرف مهنة المحاماة والرسالة التي يجب أن تتلقاها جميع مؤسسات الدولة وتسير على نفس نهجها حتى وإن كان ضد مصلحتها.

فهو لم يخشَ أن يفقد عمله مع أكبر رجل أعمال وفضل أن يتحلى بالشجاعة والشرف وإيثار نفسه دون الخوف بأن يمسه أحد.

سيدي القاضي حضرات المستشارين حتى لا نطيل عليكم نريد أن نعرض لكم فيديو الواقعة ونكمل بعدها.

القاضي رافعا يده يسمح لممثل النيابة بأن يعرض الفيديو من خلال شاشة " بروجكتر" عملاقة..

بدأت ملامح الحضور تتغير والأعصاب تتوتر داخل قاعة المحكمة من تأثير تلك المشاهد القذرة التي تعرض أمامهم.

حالة استياء شديدة انتابت كل الحضور ممن شاهدوا فيديو الواقعة.

وبعد دقائق من عرض هذا المقطع بدأت الأسئلة تدور بين الحضور والسادة الصحفيين وكادت أن تنتشر الفوضى في قاعة المحكمة من جديد ولكن سرعان ما تدخل رجال الشرطة ليهدأ الوضع قليلا وتستكمل الجلسة.

ممثل النيابة بعد انتهاء مقطع الفيديو الخاص بالواقعة أكمل مرافعته قائلا:

- وزي ما حضرتكم شفتم قدام عنيكم كم الوحشية واللاإنسانية اللي كان بيتمتع بيها المتهم مع ضحيته الأخيرة.

فلم يكن في قلبه ذرة رحمة تجعله يكف عما يفعله.

ولكن دعونا نوضح الأمر أكثر فلم يتوقف المجرم إلى هذا الحد ولكنه ظل مختطف الضحية طيلة ستة أيام كاملة على اليخت الذي يملكه.

ستة أيام كاملة وأصبح الامر من انتهاك حرمات جسد ضحية لا حول لها ولا قوة إلى رهينة ومن ثم القتل ما سبق الإصرار والترصد.

فابعدما اشيع عن فيديو الواقعة في وسائل الإعلام ولا نعلم من سرب هذا الفيديو للإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي والذي يمكن أن يكون هو نفسه من ارسل الفيديو إلى شخص آخر عن طريق الخطأ ايضا كما ارسله إلى الأستاذ (مجدي) فهو كان في حالة خمول ولا يمكن أن يدرك ما يفعله وقتها.

بعدما أشيع الفيديو وأصبح مطالب أن يخفي ملامح جريمته لم يجد سوى أن يحتجز الضحية طيلة ستة أيام كاملة ومن ثم يقرر التخلص منها.

سيدي القاضي حضرات المستشارين السادة الحضور إني ألتمس العذر منكم لو أنني لم أتمكن من تصوير بشاعة ما قامت به يد المتهم (يحيى حامد) فكل ما ذكرته هو مجرد نقطة سوداء في تاريخ المتهم الحافل بالنزوات والفساد.

إنني أطالب من عدالة المحكمة أن تسمع وترى بعين الرحمة إلى من فقدت عذريتها وحياتها وشهر بها في المواقع والبرامج من أجل نزوة

أرادها (يحيى) بيه وأطالب بتنفيذ أقصى عقوبة على المتهم وهي الإعدام شنقا ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن تلوث يده بدماء الأبرياء

ونعلي بها كلمة العدل التي هي فوق الجميع من أصغر عامل لأكبر رأس في البلد.

سيدي القاضي لا أطلب سوى العدل من سيادتكم فكل شيء واضح أمامكم لا نحتاج إلى التعليق والتبرير إلى تلك المرافعة التي بدورها نبرز بشاعة هذا المتهم.

نحن لا نطلب سوى العدل والعدل أن نرى ذلك المجرم بزي الإعدام وشكرا سيادة الرئيس شكرا حضرات المستشارين شكرا لكل الحضور..

جلس ممثل النيابة بعدما لاقت كلماته ومرافعته صدى واسعا وسط الحضور في قاعة المحكمة.

القاضي رافعا يده مطالبا الدفاع عن المتهم بأن يتواجد على المنصة لإلقاء مرافعته بخصوص القضية قائلا:

- الدفاع عن المتهم يتفضل على المنصة.

الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض فلم يتقدم أحد للدفاع عن المتهم وظل الجميع صامتا ينظرون إلى بعض دون كلام.

القاضي يعيد كلماته من جديد:

- الدفاع عن المتهم يتقدم للمنصة لإلقاء مرافعته!!

إيه مافيش دفاع عن المتهم!!؟

نظر القاضي إلى (يحيى) موجها كلماته له:

- إيه يابني فين فريق الدفاع الخاص بيك!!؟

(يحيى) بهدوء شديد رد فائلا:

- سيادة القاضي أنا مش جايب حد يترافع عني أنا هترافع عن نفسي لو سمحت لي الفرصة..

رد القاضي بحزم شديد:

- تترافع انت!! أمال فين مكتب المحاماة الذي تملكه ألم يجرؤ أحد للقدوم والدفاع عنك أم أنك ترغب في أن تستقدم لك المحكمة محامي!!

(يحيى) ناظرا للأعلى قائلا:

- سياده القاضي أنا مش محتاج محامي يترافع عني أنا بين إيدين ربنا واللي عايزه هو اللي هيكون بس بطلب من عدالة المحكمة إنها تسمع كلماتي التي من حقي أن أتفوه بها لأنقذ ما يمكن إنقاذه.

بهدوء رد القاضي قائلا:

- هديك فرصة الكلام والدفاع عن نفسك قدام انت مش جايب محامي بس في الآخر بعد ما نسمع مرافعة الحاضرين عن المجني عليها.

(يحيى) في كلمة واحدة:

- شكرا..

يكمل القاضي كلماته قائلا:

- الدفاع عن المجني عليها يقدر يتفضل على المنصة.

وهم جميع المحامين البالغ عددهم ثلاثين محامي من منظمات حقوقية مختلفة جاءت لتتعاطف مع الضحية (وعد) ضد الفساد المطلق بالوقوف!

اندهش القاضي بشدة من ذلك العدد وقال ساخرا:

- إيه دا كله احنا مش دخلين حرب حضرتكم تتفقوا مع بعض مين اللي هيعتلي المنصة للترافع.

وبالفعل اجتمع المحامين وتقدم أحدهم أخيرا للتوجه للمنصة للترافع وبدأ يعدل من هيئته ناظرا بكل حزم إلى الحضور ثم نظرة خاطفة يملؤها

الكثير من الغل إلى (يحيى) ثم توجه بنظره إلى القاضي وبدأ مرافعته قائلا:

- سيدي القاضي حضرات المستشارين السادة الحضور إننا اليوم في قضية لا تقبل القسمة على اتنين إما نار يا إما جنة فضحيتنا ستسلك أعلى مناصب الجنة بعدما اغتالتها يد الآثم القابع أمامكم في قفص الاتهام رجل الأعمال (يحيى حامد).

وأما النار ستلتهم هذا المجرم مطالبين عدالتكم بتنفيذ كلمات الله في كتابه الحق في قوله تعالي:

-بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) سورة البقرة ١٧٩

صدق الله العظيم..

سيدي القاضي إنني أشد بيد النيابة على كلماتها فإن ظواهر الكون لا تقتصر على من يملك، وإنما مع من يملك، أناس هم ملوك السلطة والجاه، ومعنى أي يتمتعون بنفوذ مؤقت، هؤلاء منهم كل الشر، يغترون.

ويفعلون ما يشاءون، أو يفعل الآخرون لهم ما يأمرون به.. وحين ينزع الملك لا شك أن المغلوب يعزه الله، أما الظالمون أنفسهم فيذلهم الله.

دعونا لا نخرج عن لب الموضوع ونتحدث عن أسباب ما حدث بالتأكيد.

الضحية هي (وعد محمد السيد) تعيش وحدها منذ سنوات عدة بعدما فقدت حنان الأم وسند الأب وتركها الجميع وهاجر.

وأصبحت في مرمى البصر من أمثال هذا المتهم الذي لا يهمه سوى الجسد وهتك الأرواح بداخلها ودفنها حية.

وكما وضحت أختها (مي) بعدما أخذنا منها بعض المعلومات وهي تجلس معنا اليوم في قاعة المحكمة وأطالب أن نستمع لكلماتها بعدما أنهي تلك المرافعة.

أكدت لنا (مي) أن (وعد) أختها قد وصلت إلى ذروتها من حالة اليأس والوحدة التي كانت تعيشها، كان هذا هو مدخل المتهم لها فهو من وعدها أن ينتشلها من حالة الوحدة التي كانت تسيطر عليها.

ونظرا لصلة القرابة التي تجمع صديق المتهم المحامي الشهير (مجدي سعد) بالضحية (وعد محمد السيد) فهو يكون زوج أختها فهذا بالتأكيد قصر المسافات على المتهم.

هي لم تجد أفضل منه رجلا على حد وصف أختها فهي لم تكن تعرفه من قبل وخافت أن تضيع عليها تلك الفرصة بعدما تخطى عمرها آنذاك حاجز الثلاثين.

وهذا ما ترفضه المجتمعات المريضة التي توحي دائما أن من يتخطى ذلك السن فهو قد ضاع منه قطار الزواج.

وهذا ما سهل الأمر على المتهم، اللعب على أوتار ومشاعر الضحية وجلبها لمكان الجريمة في اعتقادها أنه يريد مقابلتها للترتيب لحفل الخطوبة وإعلان الزواج منها.

والباقي جميعنا شهدنا بالصوت والصورة ولا يخفى على حضراتكم.

إنني أطلب منكم تحقيق عدل الله في الأرض والانتصار لتلك الروح التي ذهبت هباءً في سبيل شهوات رجل الأعمال (يحيى حامد) الذي لم يتوانَ لحظة لقتلها وإخفاء ملامح جثتها التي يعلم وحده أين مكانها فهو من دبر وخان الأمانة التي اؤتمن عليها.

فبالله عليكم أن تراعوا مشاعر قد هدمت وحواجز قد كسرت وخطوط حمراء لم تعد موجودة وأصبحت مستباحة على مرأى ومسمع من الجميع.

إنني أطالب سيادتكم، أناشد عقولكم، بصائركم التي تنير دائما ساحة المحاكم بالعدل والحق أن تقتصوا من ذلك المجرم وتنتصروا لروح الضحية التي ذهبت لخالقها دون أن نقدم لها مراسم العزاء.

الآن أصبح الأمر بين يدكم اتركه لكم واثقين في عدالتكم في توقيع أقصى عقوبة على المتهم لتنتصر راية الحق وترتاح الضحية في مثواها الأخير.

وشكرا سيادة القاضي وشكرا حضرات المستشارين أطلت على حضراتكم وأطالب بالاستماع للشهود قبل أن نغلق باب القضية.

يعود القاضي من جديد للحديث بعدما أنهى دفاع المجني عليها المرافعة قائلا:

- نادي على الشهود..

- الأستاذة (مي محمد السيد) تتفضل على المنصة..

تتحرك (مي) ببطء شديد تنتابها حالة من الفوضى بداخلها ولا تستطيع أن تسيطر على تلك الفوضى العارمة التي تدور في ذهنها.

تتحرك ولم يكن أمامها الخيار سوى التفوه بالحقيقة والحقيقة فقط لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ورد جزء من حقوق أختها عليها فهي تشعر بالذنب على تهربها منها في الماضي وأنها كانت وصلة بينها وبين المتهم والمجرم (يحيى حامد).

مازالت (مي) تتحرك بخطوات بطيئة للغاية تكاد أن تكون تمشي مثل السلحفاة في حالة ارتباك شديدة تظهر عليها وملامح التوتر ظاهرة في تحركها.

القاضي بانفعال شديد قائلا:

- يا أستاذة (مي) نرجو من حضرتك الإسراع قليلا حتى لا يضيع عمر الجلسة وانتي مازلتي مكانك..

بعد سماع تلك الكلمات شعرت (مي) بالتوتر أكثر مما كانت عليه ولكنها أسرعت قليلا إلى أن تواجدت أمام المنصة وفي مواجهة النيابة والقاضي...

القاضي موجها كلماته لها:

- قولي والله العظيم أقول الحق..

(مي) صمتت ولم تجب وكأنها لم تسمع كلمة القاضي!!

القاضي يعيد تكرار كلماته عليها من جديد:

- أستاذة (مي) قولي والله العظيم أقول الحق.

بلهجتها المتوترة بعض الشيء تحدثت أخيرا (مي) وقالت بتلعثم:

- والله العظيم هقول الحق..

القاضي موجها كلماته للممثل النيابة قائلا:

- النيابة لو حابة تسأل الشاهدة أية أسئلة تتفضل..

ابتسم ممثل النيابة في وجه (مي) قائلا:

- شكرا سيادة القاضي دلوقتي يا (مي) عندي كام استفسار بسيط كدا ممكن نجاوب عليه؟

(مي) بكلمات مختصرة قالت:

- اتفضل تحت أمرك.

ممثل النيابة بدأ أسئلته لـ(مي) قائلاً:

- (مي) علاقتك إيه بأختك في الفترة الأخيرة؟

(مي) وهي تجوب القاعة بنظرها ردت قائلة:

- وعد تبقى أختي وعلاقتنا كانت كويسة ومافيش أي مشاكل.

- أمال هاجرتي وسبتيها ليه رغم إنك عارفة إنها بتعاني من حالة الوحدة الشديدة وكانت تقترب بأن تكون مريضة نفسية بسبب حالة الوحدة اللي كانت بتعيشها وبتسيطر عليها؟

(مي) بتوتر شديد قالت:

- حضرتك احنا سافرنا عشان جوزي جاتله منحة من دولة الإمارات لاكتساب بعض خبرات المحاماة عشان كان متفوق في دراسته هنا.

رد ممثل النيابة وهو مبتسم قائلا:

- بس على حد علمي إن المنحة اللي كانت بتقدمها الإمارات لجوزك المحامي الشهير الجالس أمامنا الآن لا تتخطى العام ولكنك فضلتي المكوث هناك وعدم الرجوع مرة أخرى لمصر رغم إنك عارفة إن أختك تمر بحالة سيئة وفي أشد الاحتياج ليكي مش شايفة إن دا تناقض؟!!

(مي) وهي تنظر للأرض خوفا من المواجهة ردت قائلة:

- حضرتك عادي يعني حصلت شوية ظروف كدا وقررنا تكملة بقية حياتنا هناك عشان الاستقرار وكدا.

ممثل النيابة رد ساخرا:

- وكدا دا اللي هو ازاي؟!! بأي منطق حتى متكلميش أختك في التليفون إلا مرة أو اتنين من ساعة ما سافرتي غير إنك تكوني على خلاف معاها!

أو يكون جوزك مش على توافق معاها مش بيحب يشوفها أو محرج عليكي تكلميها مثلا..

زادت ضربات قلب (مي) بعد ذكر اسم زوجها في الموضوع وعلمت أنه لا مفر من كشف الحقيقة مهما حاولت أن تخفي أو تؤجل النطق بها وقالت:

- هو الصراحة هو جوزي مكنش بيحب يتكلم عليها كتير عشان الفترة اللي كنا قاعدين فيها في مصر كان كلام الناس بيطوله ففضل البقاء بعيد عنها.

وأنا اللي نصحته إننا نفضل في الإمارات ومنرجعش تاني لمصر ونبقى بعيد عن مشاكل أختي التي ممكن تتسبب بمشاكل له خاصة أنه كان يسير نحو أن يكون محاميا شهيرا له وضعه الاجتماعي ولا يليق أن يجعل حياته عرضة لكلام الناس..

رد "ممثل النيابة" باندهاش كبير قائلا:

- يعني عايزة تفهميني إنك تقدري تستغني عن أختك كدا بسهولة بعد ما ربيتكم وضعيت عمرها عليكو عشان خايفين من كلام الناس الصراحة مش قادر أقتنع بكلامك.

أستاذة (مي) تعرفي إيه عن (يحيى حامد) وازاي اتعرفتي بيه أول مرة؟

سؤال آخر جعلها تشعر بالتوتر وكأنها متهمة وليست شاهدة، وضعت (مي) يدها على وجنتيها في محاولة منها لاستدعاء تلك الحقيقة وهي تقول:

- (يحيى حامد) الاسم أنا عارفاه بيه زي أي حد متابع أخبار المشاهير ورجال الأعمال.

ولكن أول يوم شوفته فيه كانت صدفة عندما تواجدت مع زوجي في إحدى المطاعم بمدينة العين بالإمارات كانت صدفة مرتبة!!

"ممثل النيابة" يقف ويقترب قليلا من (مي) قائلا بتعجب:

- صدفة مرتبة قصدك إن حد رتب للمقابلة دي بس بانت قدام الناس إنها صدفة!!؟

(مجدي) يضع يده على قلبه بعدما شعر بتوتر شديد والعرق يصب من وجهه ومن كل مكان خوفا من أن تكشف (مي) تورطه في تلك الجريمة.

(مي) تنظر نظرة ثاقبة إلى (مجدي) وتطيل النظر إليه وكأنها تشير إليه أنها سوف تفضحه وتكشف حقيقة الأمر.

وعادت للحديث مرة أخرى والرد على سؤال النيابة وقالت:

- أيوة دا اللي حصل وقتها معرفتش إنها مترتبة ولكن شعرت ببعض القلق.

- امتا حسيتي إن في حاجة مش مظبوطة في المقابلة دي يا (مي)!!؟

(مي) ترفع رأسها للأعلى وتتذكر تلك التفاصيل وتعود للحديث:

- اكتشفت دا بس كان مجرد شك وقتها لما أصر (يحيى) و(مجدي) على فتح موضوع الزواج بحنكة شديدة ليتم الزج باسم (وعد) بالموضوع ومن ثم التطرق للحديث عن إمكانية ارتباط (يحيى) بوعد على الرغم أنه لم يرها من قبل ولم يسمع عنها مطلقا ولكنه كان مصرا على ذلك هذا ما لبث الشك في صدري وقتها..

- كان اقتراح مين في البداية تفتكري التفاصيل يا (مي)!!؟

(مي) نظرت إلى (مجدي) من جديد بعينيها العميقتين الغائرتين وهي تقول:

- مقدرش أنسى التفاصيل دي حضرتك دي بداية الكارثة اللي وصلتنا للي احنا فيه دا دلوقتي.

اللي اقترح الموضوع دا كان (مجدي) جوزي!!

وقف (مجدي) مذعورا بعد ذكر اسمه وقال بصوت مرتفع:

- حضرتك أنا أنا كنت حابب أعمل خير مش أكترر

بالبلدي كدا أوفق راسين في الحلال كان كل هدفي خير مش أكتر بعد اللي كنت بسمعه من (مي) عن حالة اليأس والوحدة اللي بتسيطر على (وعد) حبيت أساعد بس مش أكتر مكنش هدفي حاجة تانية!

صرخ القاضي في وجه (مجدي) قائلا:

- اتفضل اقعد مكانك لما يتوجه ليك سؤال ابقى اتكلم!

انت هنا مش في مرافعة انت جاي شاهد يعني تسكت وتسمع الأسئلة وتجاوب غير كدا متتكلمش إلا لما النيابة توجه ليك الأسئلة.

قال ممثل النيابة مخاطبا القاضي:

- أستأذن حضرتك يتفضل الأستاذ (مجدي) معانا هنا لأن دا هيفيد القضية.

أمر القاضي ليحضر (مجدي) أمام المنصة ليكون تحت طائلة أسئلة النيابة.

تحرك (مجدي) من مكانه بتوتر شديد لا يختلف كثيرا عن التوتر الذي يملأ جسد (مي) الظاهر في كلماتها.. شعر بارتباك اضطره أن يخفض وجهه.

ممثل النيابة مبتسما في وجه (مجدي) موجها له السؤال قائلا:

- انت قلت في كلامك إنك عملت كدا للخير مش أكتر بعد لما عرفت الحالة اللي بتمر بيها (وعد) بعد ما حكتلك (مي) عن الحالة اللي بتمر بيها أختها.

فقررت فجأة تساعد بدون أي مقدمات وأنا هعمل نفسي مصدقك

بس حضرتك لو مخدتش بالك من كلام مراتك قالت في كلامها إنك مكنتش بتحب أساسا تجيب سيرة (وعد) في أي نقاش يبقى منين هي حكتلك عن مشاكلها ولا انت بتستنتج!؟

(مجدي) بنفس لهجة التوتر التي تسيطر عليه رد قائلا:

- حضرتك أنا فاكر إن (مي) حكتلي حاجة عن الظروف اللي بتمر بيها (وعد) لكن أنا مليش دعوة باللي حصل هي مجرد صدفة مش أكتر.

النيابة تعيد أسئلتها على (مي) وتتجنب رد (مجدي) مؤقتا:

- طب يا (مي) امتى عرفتي إن المقابلة دي كان مترتب ليها مش صدفة وكانت من ترتيب مين!؟

فجأة بدأت الدموع تتساقط من عيون (مي) بغزارة شديدة وقالت بتأثر:

- عرفت متأخر للأسف بعد لما الواقعة حصلت..

- ازاي!؟

تعثرت (مي) وبدأت بالانتباه والوقوف على قدميها بعد حالة التوتر التي سيطرت عليها وقررت كشف غموض اللعبة وردت قائلة:

- أنا هقول لحضرتك على كل حاجة لأني حلفت وأقسمت على الحقيقة ولازم حق أختي يرجع حتى لو على حساب جوزي اللي بحبه.

- اتكلمي يا (مي) متخافيش من حاجة.

(مي) وجسدها ينتفض بشدة قالت:

- بعد ما أنهى (يحيى) مهمته وانتهك شرف أختي قام بالاتصال على تليفون (مجدي) جوزي.

فضل التلفون يرن كتير و(مجدي) كان نايم من حسن حظي قررت أرد وأبلغ المتصل إن (مجدي) نايم ولما شفت اسم (يحيى) فرحت في البداية افتكرت إنه عايز يبلغه بمعاد الخطوبة بعد انتهاء مقابلته مع أختي.

ولكن (يحيى) مدانيش الفرصة للحديث وقال نصا: إنه أنهى مهمته على أكمل وجه وبعض العبارات التي لا أستطيع أن أنطق بها عن جمال جسد أختي الذي انتهك على يده.

وفي آخر المكالمة بعدما لم يجد ردا مني قال (يحيى) إنه هيبعت فيديو الواقعة لـ(مجدي) على الإيميل وهو عليه الباقي بقى!

جلست (مي) على ركبتيها من شدة التأثر والدموع تهطل من عينها بشدة بالغة..

ساعدها ممثل النيابة بالنهوض مجددا وجلب لها كوبا من الماء لتهدأ وتكمل كلامها.

لا تقدر (مي) على النطق والدماء بدأت تفور في رأسها لا يقدر عقلها استيعاب ما حدث ولا تدرك أي زمن من الممكن أن يحدث به ذلك.

تلتقط (مي) كوب الماء لترشف منه رشفة.

في ظل حالة صمت تامة وذهول سيطر على (مجدي) ولم يتحرك من مكانه مطلقا رغم سقوط (مي) بجواره!!

ممثل النيابة بهدوء شديد حتى لا يضغط على (مي) قائلا:

- ها يا (مي) حابة تكملي ولا تستريحي شوية!؟

(مي) ردت بصرامة وقالت:

- مافيش مفر إلا لظهور الحقيقة والحقيقة كاملة من غير ما تنقص حاجة.

أنا هكمل لحضرتك باقي التفاصيل اللي هتكشف لكم المجرم الحقيقي للقضية.

وبدأت بسرد الحقائق من جديد وقالت:

- لم أستطع أن أتمالك نفسي بعد سماع تلك الكلمات المدوية التي قالها (يحيى) في الهاتف واكتشفت إنه مافيش مكان للصدفة في كل اللي حصل.

وعلمت أن ذلك اللقاء الذي جمعني به كان مرتبا وعلمت أن زوجي هو من دبر تلك المكيدة لأختي.

كنت تائهة لا أشعر بنفسي وسقطت مغمى عليا فجأة.

وبعد أن عدت إلى وعيي من جديد كشف لي (مجدي) أوراق لعبته القذرة في سبيل أن أشترك معهم في تلك الجريمة وأصمت مقابل ٢ مليون جنيه.

رد ممثل النيابة باندهاش كبير:

- وكان هيجيب المبلغ دا كله منين!؟؟

- من أختي (وعد).

ممثل النيابة والحيرة تسيطر عليه:

- مش فاهم في حاجة ناقصة!!؟

- حضرتك اللعبة القذرة دي كان أساسها الفلوس مش مجرد شهوة أو انتقام ما.

ممثل النيابة بنفس الاندهاش عاد ليسأل:

- عايزين فلوس من (وعد)!! على حد علمي أن أختك متملكش غير قوت يومها وبتصرف من معاش الوالد اللي ميتعداش الألفين جنيه ولا أنا غلطان!!

- حضرتك (مجدي) اكتشف إن (وعد) ورثت قطعة أرض تقدر في السوق ب١٠ مليون جنيه وعمل كدا عشان (وعد) تعمله توكيل بيع وشرا للأرض و___.

يقاطعها ممثل النيابة مسرعا قائلا:

- ويبيع الأرض ويوزع فلوسها عليكو وطبعا (وعد) لو موافقتش يطلع الفيديو اللي معاه ويفضحها في كل حتة.

مش كدا ولا إيه يا أستاذ (مجدي) مش قلت بردو إن الفيديو اتبعتلك بالغلط!!

(مجدي) واضعا يده فوق رأسه مردد كلماته:

- محصلش محصلش دي كدابة حضرتك دي كدابة.

رد ممثل النيابة بانفعال شديد قائلا:

- وهي هتكدب ليه وإيه مصلحتها إنها تتهمك اتهام زي دا!!

وفي نفس واحد رد (مجدي) قائلا:

- عشان طلقتها اه هي هي بتنتقم مني!!!

كلمات صادمة قالها (مجدي) جلعت (مي) تشعر بعدم أتزان في ارجاء جسدها وبدأت تتفوه بالكلام بانفعال شديد:

- كداب ازاي واحنا كنا مع بعض امبارح محصلش إنه طلقني وعشان كدا أنا بنتقم منه محصلش يا سيادة القاضي أنا لسه مراته..

(مجدي) بكل ثقة يفتح جاكيت بذلته ويخرج منها ورقة ويسلمها للنيابة قائلا:

- دي حضرتك ورقة إعلان الطلاق من يومين فاتوا وهي موقعة بالاستلام عرفت حضرتك إنها بتنتقم مني ومفيش أي دليل على كلامها!!

ممثل النيابة يفحص الورقة ويواجه بها (مي) قائلا:

- إيه رأيك في الكلام دا!

ردت (مي) بلهجة منفعلة وبدأت تفقد أعصابها قليلا وقالت:

- أنا مجاليش أي ورق أو إعلان طلاق ومامضيتش على حاجة أكيد الورقة دي مزورة اه أكيد مزورة ما دا محامي ويقدر يعمل أي حاجة بالفلوس.

رد ممثل النيابة موجها كلامه إليها قائلا:

- (مـي) عنـدي ليكـي سؤال محيرنـي لمـا أختك اتخطفت وانتـي عارفـة بـاللي حصـلها ليـه ماقدمتيش بـلاغ غير بعد اليوم السـادس من الواقعـة يعني كان بقالها أسبوع مخطوفة تقريبا ليه سكتي طول الوقت دا؟!!

لو عندك حاجة مهمة تفيد التحقيق بعيد عن المشاكل الزوجية اللي ممكن تخليكي تقولي كلام ماحصلش تندمي عليه اتفضلي مفيش يبقى ترجعي تقعدي مكانك ونكمل الجلسة..

(مي) والدموع تتساقط منها كاللهيب بدأت بالحديث في حالة من عدم الاتزان قالت:

- كـان مهـددني بنشـر الفيـديو فـي مواقـع التواصـل الاجتمـاعي بيهـددني بفضيحة أختي ازاي أروح أبلغ وهو في إيده فيديو الواقعة.

من هنا بدأت ملامح الصورة تظهر كاملة أمام النيابة وبدأ ممثل النيابة باستنتاج بعض الأمور وخرج بسؤال جديد قائلا:

- اه دلوقتي عرفنا مين اللـي سرب فيديو الواقعة للإعلام بعد ما قدمه كدليل إدانة ضد (يحيى) عشان يخرج هو برة الشبهات ويبقى بكدا عمل اللي هو عايزه ويظهر بطل قدام الناس مش كدا يا (مجدي)!!؟

(مجدي) هذه المرة بهدوء شديد ظهر عليه مكر ودهاء مهنة المحاماة رد قائلا:

- حضـرتك دا اسـتنتاج ولا دليـل إدانـة لأن شـهادة (مـي) لا يعتـد بهـا فشهادتها مجروحة.

هي أخت الضحية وقد تكون في حالة مش طبيعية ولا تعرف ما تقول أو يكون كلامها دافع شخصي ضدي بعد ما طلقتها.

ممثل النيابة مبتسما رد قائلا:

- فاهم فاهم انت محامي وبتحاول تطبق أساليبك هنا من حقك طبعا بس في سؤال أخير وبعدها تقدر ترجع مكانك من تاني.

رد (مجدي) بكل ثقة وتعالي قائلا:

- اتفضل أنا سامعك.

- هو الحقيقة استفسار أكتر منـه سؤال.. دلـوقتي احنـا لـو رجعنـا شـركة المحمـول الخاصـة بيك وعرفنـا آخـر المكالمـات اللـي انـت عملتهـا قبـل

وأثناء الجريمة بتفاصيلها كاملة يا ترى هنلاقي الكلام اللي قالت عليه (مي) ولا انت شايف إيه!

(مجدي) في حالة من عدم الاتزان وفقدان للسيطرة لم يجب وصمت عن الإجابة.

أكمل حديثه ممثل النيابة وقال:

- هو فعلا آخر سؤال بس للأسف مش هترجع مكانك!! انت هتشرفنا في القفص حتى نهاية الجلسة لحد لما يوصل تقرير شركة المحمول عن سجل مكالماتك وقت وقوع الجريمة وكمان تقرير بمدى صحة التوقيع اللي ظاهر أمامي على ورقة إعلان الطلاق.

وانت محامي وعارف القوانين أحسن مني هتستنى معانا لنهاية الجلسة ولو التقرير اتأخر شوية يبقى حضرتك مكمل معانا أربع أيام على ذمة التحقيق.

أطالب سيادة القاضي حضرات المستشارين بوضع المحامي (مجدي سعد) في قفص الاتهام لحين البت في التقارير الفنية من شركات المحمول حتى يتبين لنا صحة الاتهام الموجه ليه من عدمه..

القاضي رافعا يده مشيرا إلى حرس القاعة بالزج بمجدي في قفص الاتهام لحين الانتهاء من الجلسة..

تحرك (مجدي) وهو مطأطئ الرأس يتحاشى النظر إلى الحضور وقدمه لا تساعده على التحرك فيتحرك بدفعة تلو الأخرى من رجال الشرطة الممسكة به ونبضات قلبه بدأت في التزايد والعرق يتصبب من وجنتيه بشدة.

(يحيى) يستقبل (مجدي) ببعض الابتسامات الساخرة قائلا:

- شوفت مجتش مني أنا جت من مراتك أو طليقتك بقى على حسب التقرير اللي هيطلع.

تخيل معايا كدا يا (مجدي) كل دا وأنا لسه مفتحتش بوقي بكلمة أمال لو اتكلمت إيه اللي هيحصل..

القاضي ينادي على (يحيى) قائلا:

- (يحيى) قدامك عشر دقايق تتكلم فيهم وتدافع عن نفسك بعد كدا هنرفع الجلسة للحكم..

(يحيى) مبتسما رد قائلا:

- عشر دقايق يا فندم دول كتير عليا أنا بشكر حضرتك إنك أتحت ليا الفرصة للكلام.

أنا مش طالب إني أتكلم عشان أدافع عن اللي حصل اللي حصل كلكم شفتوه قدامكم صوت وصورة مش محتاجة كلام.

أنا بعترف بارتكاب الجريمة كاملة الأركان ما عدا اتهام واحد أعترض عليه لأني أقسم إني لم أفعلها..

- اتهام إيه اللي انت بتعترض عليه وانت معترف باللي حصل؟

رد (يحيى) ممسكا بتلك الاسلاك المحيطة بقفص الاتهام ناظرا في عين القاضي قائلا:

- أنا معترف إني ارتكبت جريمة اغتصاب وانتهاك حرمات جسد الضحية (وعد) ووضعها أسيرة تحت يدي طيلة ستة أيام كاملة.

ولكن في اليوم السادس لم أجدها في غرفتها ولم أعرف طريقا لها ولكني أقسم أنني لم أقتلها.

سيادة القاضي أنا بعترف بارتكاب جريمة الاغتصاب بكافة جوانبها واللي من دورها لف حبل المشنقة حوالين رقبتي من غير الأخذ بالاتهام الثاني وهو القتل مع سبق الإصرار.

أعلم أني ميت ميت ولكن سأموت على ارتكاب جريمة فعلتها وهي الاغتصاب والتعدي ولكن لا أريد أن أموت وأنا أحمل في رقبتي اتهام آخر لم تفعله يدي من قبل.

سيدي القاضي أنا راضي بحكمك وعدلك ولا اطلب الغفران أو التقليل من الأحكام الصادرة ضدي ولكني أرفض أن أموت وأنا أحمل قضية قتل لم أفعلها.

القاضي متسائلا:

- وإيه دليلك يا (يحيى) إنك مقتلتش (وعد) وهي كانت بين إيديك انت ومحدش كان يعرف مكانها غيرك؟!!

(يحيى) رد باختصار شديد وقال:

- الرسالة يا فندم!!

القاضي باندهاش رد قائلا:

- رسالة إيه يا (يحيى) وضح كلامك!؟

- وعد كانت سايبة رسالة بخط إيديها تؤكد اللي بقوله لحضرتك إنها هربت ولكن مقتلتهاش.

رد القاضي موجها سؤاله إلى (يحيى):

- وهي فين الرسالة دي يا (يحيى)؟

رد (يحيى) بابتسامة أمل قائلا:

- في اليخت يا فندم كانت في الغرفة اللي كنت محتجز فيها (وعد)..

القاضي قال:

- أمرنا نحن بتفتيش اليخت الذي يملكه رجل الأعمال المتهم (يحيى حامد) وجلب أية رسائل تتواجد به..

عندك أي حاجة تانية حابب تضيفها قبل ما نرفع الجلسة؟

(يحيى) مبتسم وبهدوء شديد قال:

- سيدي القاضي أريد منكم العقوبة التي تتناسب مع حجم القضية أريد أن يسير كل شيء طبيعي بعيدا عن مكانتي بعيدا عن كل شيء.

أريد أن أنال ما أستحق من عقاب جراء ما قامت به يدي.

لم يعد في وسعي التفكير في شيء أو التمسك بالحياة فلم يعد لها معنى بعد الآن.

سيدي الرئيس لستم بحاجة إلى تقرير فني أو ما شابه للتأكد من تورط المحامي (مجدي سعد) بالقضية فأنا أعلنها صريحة أمام الجميع أن كل شيء دبر ورتب كان من ترتيبه هو وليس أحد سواه.

هو من عرفني على الضحية وهو من رتب للقاء ورتب لكل شيء يخص الجريمة.

كان هو رأس الشيطان التي تحرك الجميع ولم يكتفِ فقد أقنع أخا الضحية واستغل العداوة التي بينهما للموافقة على ما سيحدث ليكون تحت غطاء أسري للموضوع.

سيدي القاضي مبقاش في حاجة تتقال..

نعم أنا أخطأت ولكن كيف تكون الدنيا بهذه القسوة ليقبل أخ بعرض للمساومة على شرف أخته وحياتها.

(مجدي) منفعلا وقبل أن يعود القاضي للكلام هم قائما وتمسك بشدة بتلك الأسلاك الحديدية بقفص الاتهام ناظرا إلى عين القاضي وموجها كلماته للحضور قائلا:

- خلاص كلكم اتفقتم إني أشيل القضية كدا بكل سهولة بعد كل اللي عملته.. أنا رتبت بكرة أطلع ومش هيبقى ليكو وجود من تاني..!

تلك الكلمات الصادمة المنفعلة التي نطق بها (مجدي) في سبيل الدفاع عن نفسه جعلت (القاضي) يقف منفعلا قائلا:

- تعرف بطريقتك دي لو كان عند المحكمة نسبة واحد في المية إنك بريء دلوقتي أصبحت مدان رسمي وبتثبت كل التهم اللي اتوجهت ليك خلال الجلسة.. تهديد معلن على مرأى ومسمع من الجميع.. ماذا تنتظر منا أن نفعله؟ نتركك ترحل بدون حساب على ما دبرت له يدك؟ أو كنت تعتقد أنك ستفلت بفعلتك؟ أنت من اختلقت تلك الأزمة وأنت من ستدفع تمنها.

ومن ثم جلس القاضي بعدما أنهى كلماته الغاضبة..

فلم يجد (يحيى) فرصة أفضل من ذلك رافعا يده مطالبا بالحديث للمرة الأخيرة.

رد القاضي بحزم شديد قائلا:

- إيه يا (يحيى) مش خدت وقتك رافع إيدك طالب تتكلم ليه تاني لو عندك إضافة تخص القضية اتكلم لو هتتكلم في أي حاجة بعيد عن قضيتنا فياريت توفر كلامك!!

(يحيى) يخرج بعض الهواء الساخن من جسده المنهك قائلا:

- حضرتك اللي هتكلم فيه واللي الدنيا كلها هتشوفه دلوقتي ليه علاقة بقضيتنا وقضية كل يوم.

قضية وطن ضاع بسبب الفساد ولكن ما أنا إلا قطعة شطرنج كان يحركها الكبار فإذا أتيحت الفرصة لذلك الضيف الجالس في الصفوف الأخيرة للحديث سيريكم شيئا قد يقلب موازين البلد في ثوانٍ معدودة وستعرفون كل تفصيلة كان من واجبها أن تنشر الفساد داخل البلاد.

هذه عصابة مكتلمة الأركان أحد أضلاعها الآن في قفص الاتهام ولا أتحدث عن نفسي لأنني لست مجرد ضلع بل داخل مربع العمليات نفسه.

هذا الضلع هو ذلك المحامي الفاسد (مجدي سعد) الواقف بجواري الآن نعم هو من كان يدبر ويجد المخارج القانونية والتفاصيل التي لا تهم أحد سواه لكي يحمي ذلك الفساد القابع في عقولنا المريضة التي دمرت الأخضر واليابس وآن الأوان أن تكشف!!

القاضي بعد سماع تلك الكلمات هم مسرعا وقال:

- هو مين طيب يا (يحيى) ياريت يتفضل معانا ويكشف تلك التفاصيل على الملأ الآن...

بدأ رجل في الأربعين من عمره أصلع الرأس يرتدي بذلة زرقاء ورابطة عنق سوداء تضيف لمحة جمالية إلى مظهره..

يتحرك وفي يده بعض من الأوراق المبعثرة وغير المرتبة نظرا لأنه كان يقرأ فيها طوال الجلسة والآن جاء وقتها ليقدمها لتكشف تفاصيل اللعبة.

وبتلك الخطوات الممتدة وصل أخيرا وصار على مقربة من منصة القاضي وبدأ بالحديث قائلا:

- سيدي القاضي حضراـــــــ.

يقاطعه القاضي قائلا:

- عرفنا بنفسك الأول انت مين!!؟

ـ أنا اسمي، (مختار عبد الحميد مختار) رئيس مباحث قسم المعادي..

باندهاش كبير رد القاضي قائلا:

- وانت إيه دخلك بالقضية؟!!

أبتسم مختار ورد قائلا:

- حضرتك أنا هنا لأن القدر أراد أن أكون هنا لأكشف كل شيء على الملأ وأمام أعين الجميع.

تلك المستندات التي أحملها بين يدي من قدمها لي هو (يحيى) نفسه ذلك الفاسد الذي يحاكم الآن على انتهاك عرض ضحية أخرى من ضحاياه

ولست هنا لأتعاطف معه ولكن أعجبتني شجاعته حين قرر التخلص من تلك السموم التي تحيط بنا في الخفاء.

سموم تنتشر بيننا يوما بعد الآخر ونحن لا نعلمهم ولم نكن قادرين على مواجهة طغيانهم لأن ببساطة لم يكن لدينا ما نقدمه.

تلك الأوراق والمستندات التي أحملها بين يدي سلمها لي (يحيى) عندما قبض عليه وتم ترحيله إلى قسم المعادي.

قدم تلك المستندات على هيئة "فلاشة" صغيرة ولكن ما بها يحمل بين طياته الكثير والكثير..

عندما دخلت على (يحيى) لألقي عليه النظرة الأخيرة قبل أن يرحل إلى الحبس وجدته يقدم لي "فلاشة" قائلا أن كل ما فيها هو دليل إدانة واضح على رؤوس الفساد التي تحيط بنا ومن بينها ذلك المحامي القابع الآن خلف أسوار وقضبان السجن والذي وعد (يحيى) بالهروب حتى لا يذكر اسم من تورطوا في قضايا الفساد التي أشيعت خلال الفترة الماضية.

سيدي الرئيس المستندات بين يدك أمانة ستسأل عنها يوم الدين أردت أن أسلمها لك أمام الجميع لكي يكونوا شاهدين أننا لم نقصر في حق العدالة أو نتوانى لحظة في تحقيق مفاهيمها.

اقترب مختار من تلك المنصة بهدوء شديد وقلب تملؤه الثقة والطمئانينة وبدأ بتسليم تلك المستندات في يد القاضي ومن ثم عاد بهدوء شديد إلى مكانه وجميع الأنظار تحيط به وكأنه أصبح في لحظة هو بطل هذه القضية.

القاضي يمسك بتلك الأوراق ويفتحها ببطء شديد للغاية مدققا النظر بها.

فلم تصدق عينه ما يقرأ وبدأت القاعة تجوب بالفوضى وكأنها ثورة وبدأت شرارتها من هنا من قاعة وساحة المحاكم التي دائما ما تنطق بالعدل..

وتحولت ساحة المحكمة إلى ما يشبه العراك بالهتافات التي تدوي القاعة بما فيها وحاول رجال الشرطة تهدئة الوضع دون تغير يذكر ولكن سرعان ما قام القاضي أخيرا من على كرسيه رافعا يده مطالبا الجميع بالهدوء ليبدأ بالحديث.

بدأت القاعة تهدأ نوعا ما فالجميع متشوق لمعرفة الحقيقة وبدأ القاضي بالحديث أخيرا قائلا:

- لست مطالب أن أحكي تفاصيل ما رأت عيني من فساد عظيم من تلك الأوراق التي تنطق بما يعجز اللسان عن نطقه ولكن ما دامت القضية تتعلق بمستقبل وطن فعلينا الحديث حتى وإن كان ذلك سيكلفني الكثير فلم يعد يخفى شيء عليكم..

غدا لن تتمكنو من مشاهدة تلك الأسماء في مناصبهم من جديد لأنهم أصحاب سلطة ونفوذ ولكن لم يعد هذا يهم.

كل تلك الأسماء التي دونت في تلك الأوراق الملقاة أمامي ما هي إلا بداية وستأتي بالمزيد من رؤوس الفساد عندما تفتح باقي الملفات.

فمنهم من كان يبيع الأراضي بنصف ثمنها مقابل بعض من فلوس الرشاوى وبدلات السفر وتذاكر الطيران المجانية.

وهناك من ينهب في آثار بلده في مقابل بعض من الشهوات النسائية بعد أن تصبح تلك الآثار ترتدي زيا أجنبيا.

ومنهم من يستورد تلك اللحوم الفاسدة والكيماوي الذي يجلب السرطان في أبدان الشعب من أجل بعض الاستثمار في أرواح الناس يجلب الموت لنا والنعيم لهم.. ومنهم من يضع القوانين التي تمرر تلك القذارة من خلال منبره الشعب الذي اؤتمن عليها وأصبح سن القوانين أسهل طريقة للخروج من الأزمة دون عقاب.

والآخر من يدير تلك اللعبة من خلف ساحات المحاكم ببعض الثغرات القانونية التي جعلته المحامي رقم واحد في مصر..

على غرار ما فعلته فلوس الفاسد (يحيى حامد) في الاشتراك والمساهمة الحقيقية والربط بين كل تلك الأطراف..

بعدما أنهى القاضي كلامه دون خوف توقف للحظات ومن ثم عاود الحديث مرة أخرى وبكل شجاعة استكمل كلامه قائلا:

- رفعت الجلسة والحكم بعد المداولة.

الفرحة سيطرت على عقول وأذهان من يتواجدون بالقاعة وكأن تلك الأسماء التي فضحت أنستهم القضية الأساسية التي جاؤوا من أجلها وهم الآن في انتظار حكم القاضي في القضية التي ستنتصر لروح (وعد) فهي تلك الروح التي دونت بسببها أسماء وفضحت مناصب في جلستها وجاء اليوم ليأخذ كل منهم عقابه..

صدفة بحتة جعلت رؤوس الفساد تسقط على الملأ واحدا تلو الآخر وما خفي كان أعظم..

- مـــــــحـــكـــمـــة.....

اصطف الجميع وتأهبوا للوقوف مرة أخرى بعدما دخل عليهم القاضي من جديد استعدادا للنطق بالحكم والعقاب الأمثل الذي يستحقه (يحيى) جراء ما فعله بوعد.

جلس القاضي والابتسامة لا تفارق وجهه وكأن نفسه راضية على ما سيحكم به اليوم الحكم لتلك المسكينة التي فقدت عذريتها قبل أن تقتل..

وبدأ القاضي بالكلام استعدادا للنطق بالحكم:

- بعد الاطلاع على الأوراق والمستندات وشهادة الشهود وبعد سماع مرافعة النيابة العامة وسماع المتهمين أنفسهم في القضية المتهم الرئيسي فيها رجل الأعمال (يحيى حامد) والمتهم الآخر المحامي (مجدي سعد) وبعد المناقشة حكمت المحكمة حضوريا بالـــــ...

وقبل أن ينطق القاضي بالحكم سمع صوت هرج ومرج على بوابة القاعة فهم قائلا:

- إيه الصوت اللي بره دا! سكوت!!

أجابه أحد حراس البوابة قائلا:

- حضرتك في محامي هنا وبيقول إنه جاي يترافع في القضية!!!

القاضي بتذمر شديد رد قائلا:

- دلوقتي!! احنا خلاص رفعنا الجلسة كنت فين حضرتك من بداية الجلسة!!؟

رد ذلك المحامي الواقف أمام باب القاعة وأطل برأسه من خلف باب القاعة ليناشد القاضي قائلا:

- حضرتك التوكيل لسه جايلي حالا ودي مسألة حياة أو موت ماتحتملش التأجيل.

أشار القاضي للحرس بفتح البوابة له ودخوله القاعة..

الجميع يتعجب من ذلك المحامي وهو يترجل إلى ساحة المحكمة بحنكة شديدة إلى أن وصل إلى مكان المرافعة منتظرا إشارة القاضي للحديث.

- انت جاي تترافع عن مين يا أستاذ مش شايف كم المحامين اللي وراك كلهم جايين عشان نفس القضية اللي حضرتك جاي عشانها يعني وجودك لا هيقدم ولا هيأخر!

المحامي مبتسم وبكل ثقة رد قائلا:

- حضرتك أنا مش جاي أترافع عن الضحية أنا جاي أترافع عن المتهم الرئيسي في القضية (يحيى حامد)!!

هم (يحيى) مسرعا للوقوف في حالة تعجب شديدة فهو لم يوكل أحدا للدفاع عنه كما أعلن مسبقا ولكنه فضل الصمت لمعرفة ما يدور من حوله.

القاضي باندهاش كبير بدأت نظراته تجوب قاعة المحكمة بالكامل ومن ثم النظر إلى (يحيى) فأشار له (يحيى) أنه لا يعرف شيئًا عن الأمر.

ثم نظر إلى المحامي وقال:

- انت بتقول إيه إذا كان المتهم نفسه موكلش محامي انت مين اللي وكلك في القضية ديه اسمه إيه!؟

المحامي بكل هدوء بدأ يفتش في جيوبه ليخرج منها اسم الموكل إلى أن أخرجها وبدأ بالحديث مجددا:

- حضرتك أنا في واحدة جاتلي من نص ساعة بالظبط وطلبت مني إني أترافع عن المتهم وإن هي مسألة حياة أو موت وحياة المتهم دا متوقفة عليا.

القاضي بنظرة تملؤها الكثير من التساؤلات رد قائلا:

- مين دي اسمها إيه!!؟

المحامي ينظر في تلك الورقة التي أخرجها من جيوبه وبدأ ينطق بالاسم:

- اسمها يا فندم (وعد محمد السيد).

صدمة عارمة هزت أرجاء المحكمة بالكامل بعدما نطق المحامي ذلك الاسم! كيف أن تعود (وعد) من الموت المحقق وكيف لها أن تدافع عن من اقتنص شرفها.

أسئلة جعلت من قاعة المحكمة كالسوق العام الجميع يتحدث ولا يفهمون ما يحدث من حولهم.

(يحيى) واضعا يده فوق رأسه لا يصدق ما يسمع وبدأ بترديد عبارة:

- الله أكبر.. وعد عايشة الله أكبر وعد عايشة..

مازال القاضي لا يفهم ما يدور وبدأ بطرح الأسئلة على ذلك المحامي من جديد قائلا:

- انت حضرتك تعرف إن الضحية في القضية دي هي موكلتك (وعد محمد السيد) انت متأكد من الاسم دا!!؟

اندهش المحامي وبدأ يدقق النظر في الاسم من جديد وتأكد أن الاسم صحيح.. لا يفهم ما يدور حوله، سيجن بكل تأكيد، وفضل الصمت والاكتفاء بهز رأسه للتأكيد على أن الاسم صحيح ولا يوجد خطأ به.

انتهز هذه الفرصة وبدأ (يحيى) بالحديث مباشرة إلى القاضي دون استئذان قائلا:

- أنا قولتلك إني مقتلتهاش مقتلتهاش..

القاضي محدثا نفسه يشعر بشيء جنوني يحدث أمامه قائلا:

- أنا مش فاهم ازاي المجني عليها تدافع عن المتهم اللي كان سبب في انتهاك عذريتها سيشل عقلي بكل تأكيد..

ظلت حالة الصمت والسكون التي سيطرت على قاعة المحكمة من الجميع في حالة اندهاش غير طبيعية يشعر بها كل من في القاعة بمن فيهم القاضي الذي ظل صامتا يحدث نفسه في صمت شديد..

وأخيرا يعود القاضي للحديث مرة أخرى موجها كلامه للمحامي الموكل للدفاع عن (يحيى) قائلا:

- وحضرتك طالب وقت عشان تترافع طبعا.. اتفضل تقدر حضرتك تترافع وبعد كدا نرفع الجلسة من جديد.

المحامي بكل هدوء رد قائلا:

- لا حضرتك فهمت غلط أنا مش جاي عشان أترافع عن القضية.

القاضي ومازالت حالة فوضى الأفكار تسيطر عليه رد باندهاش:

- أمال حضرتك جاي عشان إيه ممكن أفهم سبب وجودك**!!؟**

المحامي وهو ينظر إلى (يحيى) ومبتسم رد قائلا:

- مش قولت لحضرتك دي مسألة حياة أو موت وحياة الشخص اللي في القفص دا في إيدي.

عشان كدا أنا جاي أقدم تنازل رسمي عن القضية وأطالب بالإفراج الفوري لرجل الأعمال (يحيى حامد)!!

مفاجأة وفاجعة أخرى جعلت الجميع يلتف حول نفسه في حالة دهشة كبيرة واستياء شديد من وسائل الإعلام التي تغطي القضية فهم أرادوها نهاية درامية وليس العكس حتى تفتح لهم الاستوديوهات ليلا للحديث عن الحكم التاريخي لهذه القضية ليضيعوا بعضا من الوقت لإلهاء الناس بقضية معروف حكمها من قبل أن تبدأ..

وانقسمت الآراء داخل القاعة بين مؤيد ومعارض لهذا القرار ولكن سرعان ما هدأت الأمور بعدما فتح فجأة باب القاعة ببطء شديد في ظل حالة الانقسام الموجوده داخل القاعة..

الجميع أنظارهم تحيط بباب القاعة في انتظار مفاجأة أخرى قد تقلب موازين القضية كما حدث منذ قليل..

دقائق وبدأت ملامح من فتحت لها أبواب القاعة تظهر شيئا فشيئًا.

الجميع يكذبون أنفسهم لما يشاهدوه يحدث أمامهم أيعقل أن تكون هي من تترجل بسلاسة شديدة إلى داخل قاعة المحكمة أيعقل هذا!!

وجدوا أمامهم فتاة في أسوأ حالاتها، هيئتها رثة ممتقعة اللون نحيلة الجسد.

وبعد أسئلة ومناقشات طالت بين الحضور اكتشف الجميع أن من دخلت قاعة المحكمة الآن هي (وعد) في مفاجأة من العيار الثقيل.

(وعد) تدخل إلى قاعة المحكمة.. وقفت متسمرة أمام نظرات الحضور تنظر لهم نظرات زائغة وأنفاسها تتلاحق.

جميع من في القاعة اصطفوا ووقفوا من تلك الصدمة التي سيطرت على وجههم فالجميع كان يعتقد أن (وعد) قد ماتت بكل تأكيد بعد اختفائها المفاجئ.

(مي) وقفت وأطالت النظر في وجه (وعد)، أرادت أن تتأكد أنها هنا مازالت على قيد الحياة وحالة الذهول تسيطر عليها وبدأت تنادي على

أختها وسط صمت كامل في أرجاء القاعة ولكن (وعد) لم تجب عليها وتركتها تناجي في تجاهل واضح منها..

(وعد) توقفت أخيرا عن المضي قدما بعد أن باتت على مقربة من القاضي وبدأت بتعريف نفسها دون أن يناقشها أحد وكأنها تعلم ما يدور في مثل هذه المواقف داخل ساحات المحاكم وبدأت بالكلام أخيرا في ظل ترقب شديد لكلماتها وقالت:

- (وعد محمد السيد) المجني عليها.. تسعة وتلاتين سنة وفي كامل قواي العقلية أطالب المحكمة بإسقاط كافة التهم الموجهة إلى رجل الأعمال (يحيى حامد) والتنازل عن القضية.

القاضي في حالة ذهول لما يدور أمامه فهو لم يتعرض لموقف مشابه من قبل بدأ بالكلام:

- انتي يا بنتي عارفة انتي بتطلبي إيه؟ بتطلبي إن اللي اعتدى عليكي وحبسك ست أيام كاملة إنه يخرج براءة عارفة معنى الكلام ولا انتي مش في وعيك؟؟

ردت (وعد) مبتسمة:

- حضرة القاضي أنا بطلب من عدالتكم أن تسمعوا لصوتي فأنا لست بحاجة للكلام والدفاع عما أقوم به الآن.

عليك بتطبيق القانون وإرجاء أية أحكام صادرة في حق المتهم فلم يعد له معنى بعد التنازل عن القضية بالكامل..

(يحيى) لا يصدق ما يسمعه وكأنه يحلم أو ما شابه أو قد يكون كابوسا وليس حلما فحلمه هو أن يعاقب على جرائمه فكيف تفعل ذلك (وعد) بعد كل ما فعله بها إنها حقا غير طبيعية وقام بالحديث موجها كلماته للقاضي بانفعال قائلا:

- يا سيادة القاضي عايزك تنفذ فيا الحكم اللي كنت هتنطق بيه من شوية أنا مش مصدق اللي بيحصل وعشان أصدق لازم أسمع حكمك من تاني متاخدش بكلمها!!

القاضي وهو أصبح أمام أمر واقع رد قائلا:

- للأسف مفيش في إيدي حاجة أعملها غير إني أحجز القضية وانت تخرج منها دون أي عقاب.

بعد هذا التنازل أصبحت حرا ولكن من تلك القضية فقط لا تنسى قضية الفساد التي لم تفتح بعد حتى يتم التحقيق بها ستبقى معانا لوقت آخر.

(مجدي) بنبرة تعاطف رد قائلا:

- وأنا سيادة القاضي إيه موقفي!!؟

- انت كمان بتشملك البراءة في تلك القضية لأنه تنازل واضح وصريح من الضحية عن القضية بالكامل ولكن انت كمان مشرفنا في قضية الفساد والتلاعب بالقوانين.

القاضي بنبرة حزن ودهشة موجها كلماته إلى (وعد) قائلا:

- عندك حاجة تانية حابة تضيفيها ولا نرفع الجلسة!!؟

اقتربت (وعد) من قفص الاتهام ناظرة في عيون (مجدي) وأطالت النظر إليه وبدأت بالحديث بالهدوء التي تعودت عليه في الماضي وقالت:

- في مثل بيقول.. من حاول أن يمسك الشمعة من شعلتها أحرقت يده، وهذا ما حدث في الماضي.

(مصطفى) أخويا كان هو الشمعة اللي حرقت إيدي زمان واللي بسببها تآمر ضدي.. تلك القصة البسيطة التي سأتلوها عليكم هي ما أوصلتنا لما نحن فيه الآن وكما يقولون كما تدين تدان!!

الجميع اختلف عن مدى كره أخ إلى أخته حتى يصل الأمر به إلى أن يتأمر ضدي فأنا لست مذهولة لما حدث لأن ما حدث بدأت ذيوله منذ سنوات مضت.

سنوات كنت أخشى أن تعود وتكون أمامنا تتحرك ولكن لا مفر منها.

(مصطفى) الأخ الذي لم يجد معي روح الأم وسند الأب وتحول من مجرد طفل في عيوننا إلى مراهق كل من يقترب منه يقع بالمشاكل.

شمعة تلسع كل من يحاول الإمساك بها أو التقرب إليها.

(مصطفى) كان مدمنا للمخدرات ترك المدرسة وأصبح كل همه أن يحصل على حصته من ذلك المخدر الذي أصاب جسده وعقله بالمرض.

لا أحد يعرف ماذا كان يدور بيني وبينه في الخفاء حتى أحاول أن أقنعه أن ذلك بلاء قد يدمر به نفسه.

تلك المنقاشات الحادة وصلت بنا إلى طريق مسدود جعلتني أهدده بأن أبلغ عنه الشرطة وأفضحه إن لم يعدل عن ذلك الموضوع.

وقتها لم يدرك في عقله أنني خائفة عليه وجعل هذا التهديد واقعا أمام عينه وسببا ليكرهني ويبتعد عني رغم العيش في بيت واحد ولكن كلا منا بعيد عن الآخر.

ذلك المخدر اللعين جعل من (مصطفى) ذئبا بشريا ورأيته ينتهك جسد فتاة بكل قسوة دون النظر إلى المكانة التي تحظى بها تلك الفتاة في قلبه، فهو كام مغمض العينين من كل شيء.

تلك الفتاة لا أحد يعلم سرها سواي وتلك الواقعة كنت الوحيدة الشاهدة عليها مما زاد حدة التوتر والخلاف بيني وبين (مصطفى) وجعلته يهرب ويتركني بعدما علم بفتح باب الهجرة لإحدى البلاد الأوروبية.

هرب ولم يتحمل المسؤلية هرب ومازال ذلك السر بين جفوني لا أحد يعلم عنه شيئا.

أتعلم يا (مجدي) ما اسم هذه الفتاة؟ إنها (لبنى سعد محرم) أختك يا (مجدي).. علمت الآن وعرفتم جميعا أن هذه الدنيا ما هي إلا ساحة

صغيرة تعاد فيها كل شيء وتنقلب الموازين رأسا على عقب ومن حمل وزرا سيعاقب عليه..

(مجدي) سقط على الأرض من هول ما سمع واضعا يده على وجنتيه غير مدرك ما وقع على أذنه وبدأ بالنظر إلى (وعد) بحالة ذهول شديدة قائلا بانفعال:

- انتي بتقولي إيه أختي أنا!!

أكملت (وعد) من جديد كلماتها في هدوء رغم حالة الذعر التي تسببت فيها لـ(مجدي) وبدأت بالكلام من جديد وقالت:

- هذا هو حال الدنيا يا مجدي كما تدين تدان كل حاجة بقت وضحة وضوح الشمس كنت أعتقد أنك تنتقم مني مما فعله (مصطفى) بأختك ولكن فوجئت أنك مشترك مع (مصطفى) في تلك اللعبة..

ولأول مرة تتساقط الدموع من (مجدي) فظهر ضعيفا أمام الجميع، ظهرت شخصيته الحقيقة التي كان يخفيها بصرامته وشدته في التعامل، ظهرت بعدما كشف الستار عن تلك الغلطة التي وقعت به أخته وعقله مازال يفتقد لتفسير لها حتى الآن!!

يحاول أن يلملم ما تبقى منه ويظهر قويا من جديد قائلا:

- بس دا محصلش يا وعد محصلش أكيد.

(وعد) تعاود الحديث من جديد:

- للأسف دا حصل لو كنت كشفت الحقيقة دي من زمان مكنش أخويا هرب مني وفكر إني ماسكة عليه ذلة ترهن رجوعه مرة أخرى ولكن يجب أن تسأل نفسك يا (مجدي) لمَ لم تتزوج أختك حتى الآن رغم أنها صغيرة وجمالها الطاغي جعل المزيد من الرجال يقدموا على طلب الزواج منها وفي كل مرة ترفض هل تعرف السبب!! الإجابة أنها خائفة من أن تكشف تلك الحقيقة إذا تزوجت..

أما عني أنا فلا تستغرب عما فعلته اليوم لأنني لست مستوعبة ما تقوم به يدي

كل ما عليّ فعله هو الاستجابة لتلك الرغبات الجامحة المجنونة التي تتحكم فيّ حتى أعرف ما أعاني منه..

وأنهت (وعد) كلماتها المدوية وأدارت ظهرها للجميع وذهبت دون الالتفات لأحد تاركة خلفها العديد من التساؤلات.

(مجدي) مازال جالسا على الأرض يندد بما سمع ولا يستوعب عقله ذلك الحديث كل ما يفعله حاليا الصمت الشديد والنظر إلى السماء مع تساقط جسده المتأرجح على الأرض سقوطا مدويا من شدة الصدمة.

أما عن (يحيى) فظل صامتا بشدة لا يستطيع التفكير في شيء ينظر إلى (مجدي) ويرى الحسرة في عيونه وينظر إلى القاضي ويرى الدهشة في نفسه وينظر إلى نفسه ولا يستطيع أن يفسر حالته التي لا تختلف كثيرا عن حالات الانقسام الحاد النفسي التي تصيب الإنسان وتجعله لا يعرف نفسه وبأي أرض يكون..

القاضي يرفع الجلسة معلنا براءة المتهمين من التهم الموجهة إليهم في تلك القضية بعد التنازل الذي أصرت على تقديمه (وعد) دون أن تبدي الأسباب!!

الفصل التاسع

"صدمة الإفاقة"

"ثمّة تفاصيل مُخبأة لا تضيع في زحام الذّاكرة"

مهما حاولنا النسيان، إلا أنّ الذكريات تبقى محفورةً داخلنا، تُذهِبُنا لعالم آخر

نتذكّر فيه كل اللحظات، حتى وإن كانت مؤلمة تبقى دائما بالقلب، فقد تجمعنا الدنيا بأشخاص أو قد نمر بأماكن لم نعتبرها في بداية الأمر مهمّةً، ولكن عند الابتعاد نشعر بقيمتها ومدى تأثيرها، فنعيش نحلم بذكريات مضت ولا نستطيع أن نسيطر عليها ولا نستطيع نسيانها..

بدأت (وعد) أن تعود من جديد إلى وعيها بعدما نامت من كثرة ما مرت به من أحداث كانت تسجلها على تلك الأوراق الملقاة بجانبها على الأرض.

أرادت أن تكتب كل شيء وتسجله وبعدها تخبر به الدكتورة (سعاد) ولكن سرعان ما كان لأثر ما كتبت على جسدها المنهك وقلبها الذي زادت ضرباته بشدة ومن ثم سقطت أرضا ولم تستطع أن تقاوم ما تشعر به من تعب.

فضلت البقاء ملقاة جسدها على الأرض تاركة عقلها يذهب بها لبعيد لتتذكر كل شيء حدث لها في الماضي.

لقد نامت قرابة العشر ساعات ولم تشعر بنفسها.

عشرة ساعات تذكرت بها كل شيء منذ المقابلة الأولى مرورا بتلك الغرفة التي سكنتها طيلة ستة أيام كاملة نهاية بمشهد المحكمة التي لا تستطيع نسيانه..

بدأت تفيق نوعا ما وتعود إلى وعيها ولكن جسدها المنهك مازال يفتقد للسيطرة ولكنها تحاول دون جدوى..

تشعر أن هناك شيئا غريبا يحدث هناك ضوء مشع يضرب في وجهها.

ضوء لم تعتد عليه فهي اعتادت على الظلام الحالك والضوء الخافت في تلك الغرفة التي تسكنها منذ فترة ليست بالبعيدة..

تحاول (وعد) أن تفتح عينها ببطء شديد من قوة الضوء لتعرف ما يحدث..

هناك أصوات في الغرفة لا تعرف من أين تأتي شعرت ببعض التوتر وأغمضت عينها مسرعة خوفا لما يدور حولها..

تشعر أنها فقدت عقلها، إنها ترى هلاوس سمعية وبصرية، وتلك الأصوات تقترب منها، تحدث نفسها بهدوء شديد:

- هل هو من وحي خيالي وأحلامي مازالت مستمرة، لابد أنني في أحد كوابيسي المزعجة.

لكن خوفها أكبر من أن تظهر اليقظة وتفتح عينها.

جفت الكلمات في حلقها حتى ساد صمت مريب في الغرفة وسيطرت على عقلها حالة من الارتباك وكأنها بين اليقظة والنوم، وبدأت هذه الأصوات تظهر من جديد بوضوح وسمعت (وعد) أناسا يتحدثون وهم يحيطون بها من كل مكان ولكنها خائفة مرتبكة لا تريد أن تفتح عينها وفضلت استراق السمع لتبين الأمر وسمعت صوت امرأة تتحدث بصوت مرتعش وكأن ذلك الصوت مر من قبل على أذنها ولكن غير مدركة ما يحدث من حولها.

ايمكن أن تكون جزء من تلك الذكريات التي حلمت بها أم أنها بعض من التخيالات تشعر بها بسبب ما مر بها..

كانت تحدث نفسها وهي خائفة لا تعرف ماذا تفعل ولكنها سمعت أخيرا وبكل وضوح صوتا يداعبها وينادي عليها قائلا:

- وعد فوقي يا وعد يا وعد!!

تيقنت وعد أخيرا أنها لا تحلم ولكنها فضلت الصمت من جديد!!

ذلك الصوت الأنثوي يحدثها من جديد:

- يا وعد بالله عليكي تفوقي أنا حاسة بالذنب وقررت أرجع عشان أعيش معاكي يا وعد أنا أختك وهفضل أختك رغم كل شيء أنا رجعت عشانك بالله عليكي تردي عليا!!

أيقنت (وعد) في تلك اللحظات وعرفت من ينادي عليها أخيرا وبدأت في إزالة تلك الغشاوة التي كانت تسيطر على عينيها مع اقتراب ذلك الضوء أكثر منها.

(مي) بفرحة عارمة ودموع تذرف من عيونها بعدما شعرت بحركة بجسد (وعد) بعدما شعرت أنها قد تكون فقدتها قائلة:

- يا دكتور (محمد) كفاية كدا نور الكشاف اللي متوجه في عيونها دا هي خلاص بدأت تفتح عينيها وتفوق..

مازالت (وعد) جالسة على الأرض لا تفهم ما يدور حولها ولكنها أخيرا أيقنت أنها تستطيع أن تحرك جسدها المنهك شيئا فشيئا وتقاوم حالة عدم التوازن التي تسيطر عليها..

أمسكت (مي) بها مع مساعدة الدكتور (محمد) لها التي أتت به (مي) لكي يطمئن عليها.

وبدأت (وعد) بالاتكاء عليهم حتى جلست بصعوبة شديدة كان جسدها يتمايل بشدة بالغة ولكنها جلست أخيرا من جديد على ذلك الكرسي

المائل الشبيه بالسرير نوعا ما الذي دائما ما كانت تجلس عليه في كل جلسة تجمعها بالدكتورة (سعاد)..

ولكن أخيرا تلك الغرفة التي كانت دائما مظلمة ولا توجد ملامح لها أضاءتها الأنوار وشع فيها الضوء من جديد.

وبتلك الكلمات البسيطة التي قالتها (مي) أيقنت من خلالها أن (وعد) ليست على ما يرام وبدأت تحدثها قائلة:

- مالك يا وعد إيه اللي انتي فيه دا حاولي تفوقي منه كل حاجة بتعدي ليه واقفة عند الذكريات والألم يحيط بيكي من كل مكان!!!

(وعد) نظرت لها بعينين يملؤها الكثير من الدموع والكثير من الأسئلة لم تجد لها إجابات واضحة، قالت بصوت مرتعش من فم تتساقط منه الكلمات مبعثرة وقالت:

- أنا هنا أعود بأفكاري لزماننا وأفتش بين ثنايا الضحكات عن سعادتنا، وتأخذني الأحاسيس إلى أحلامنا، وأرى الثواني تمضي من أمامنا، ولا تزال نفس المشاعر تطاردني، ودفاترنا لا زالت مملوءة بالذكريات التي لا أستطيع أن أطردها من عقلي وذهني.. ومقاعدنا لازالت تحوي دفء حكاياتنا التي تحولت فجأة إلى ظلام دامس.

(مي) تحاول أن تخرجها من تلك الحالة وردت مداعبة أختها وقالت:

- إيه الكلام الكبير دا يا وعد طول عمرك عندك بلاغة في الكلام مش عند حد!!

ابتسمت (وعد) وردت قائلة:

- الحياة تتلاشى، لنبقى مجرد حروف سطرتها الحياة.. ثمّة تفاصيل مُخبأة لا تضيع في زحام الذّاكرة....

(مي) بدهشة بالغة لا تفهم ما تقوله (وعد) قالت:

- أمرك غريب يا وعد تفضلين المكوث طوال الوقت وحدك في غرفة مظلمة تماما تحدثين نفسك في صمت وتناجين روحك على سبيل أن تعودي إلى سابق عهدك هكذا قد تموت روحك بداخلك وانتي لا تعلمين وقد تذهب بلا رجعة وتبقين مكانك!!

(وعد) تميل بجسدها للوراء وتستلقي على ذلك الكرسي وبدهشة غريبة قالت:

- من قال لكِ يا (مي) إني وحدي هنا أو إن روحي قد تموت بداخلي بسبب ذلك الظلام.

هنا كل شيء يمحى، تلك الظواهر التي تظهر علينا ضعفنا تختفي ولا نراها، كل شيء مظلم هنا هو بمثابة الغطاء الذي يطمس معالم كل شيء حزين قد نمر به.

هنا لا سبيل للأضواء فهي ما تكشف ما نمر به وتظهر ما تلمح له الوجوه.

هنا أنا لست وحدي يا (مي)!

(مي) تشعر بأن هناك شيء غير مفهوم في كلمات (وعد) فهي تعيش في ذلك المنزل وحدها منذ سنوات عدة على أي أساس تتحدث إنها ليست وحدها هي هنا تشعرني أنها تعالج من تلك التراكمات التي حدثت في الماضي ولكن كيف وهي وحدها لا تحدث أحدا!!

بدأت (مي) تلقي نظرة على تلك الأوراق الملقاة على الأرض لترى ما فيها..

بدأت بالامساك بتلك الأوراق وتفندها ورقة ورقة وتدقق النظر فيها بشدة بالغة لا تصدق ما تراه عينها هي حقا لا تفهم ما يدور هنا.

(وعد) بانفعال شديد قالت:

- ممكن يا (مي) تسيبي الورق دا في حاله ممكن!

(مي) بنفس نظرة الدهشة حدثت (وعد) من جديد قائلة:

- وعد إيه اللي مكتوب في الورق دا أنا مش فاهمة حاجة انتي بتعاني من مرض نفسي فعلا!!؟

(وعد) بالهدوء التي تعودت عليه ردت :

- أتمانعين بأن أكون مريضة بعد كل ما حدث لي؟! ولكني سأشفى منها فقط ينقصني تلك الجلسة القادمة أحكي فيها عن كل ما حدث وكل ما تذكرته وأنا غائمة في النوم.

سأحكي تفاصيل ما تذكرته للدكتورة (سعاد) ووقتها ستعرف ما أعاني منه وأبدأ العلاج بالتأكيد..

(مي) تعود للوراء قليلا في حالة صدمة وريبة من كلمات (وعد) وقالت في تذمر شديد:

- يا دكتور ممكن تكشف على (وعد) حاسة إنها بتعاني من بعض الاضطرابات النفسية ومش عارفة تسيطر على كلامها..

بدأ الدكتور (محمد) بالاقتراب قليلا من (وعد) لتفقد حالتها، حاول أن يساعدها على الرقود، حاولت التملص من قبضته واستجمعت قواها ثم

ركلت الدكتور بالقدم في صدره ووقع على الأرض جراء تلك الصدمة التي تلقاها منها.

ساد الصمت المكان جراء ذلك التصرف الأهوج.

(مي) بانفعال شديد:

- انتي اتجننتي يا (وعد) سيبي الدكتور يكشف عليكي عايزين نطمن على حالتك مش هينفع كدا!!

(وعد) بنفس لهجة الانفعال ردت قائلة:

- مش عايزة حد يكشف عليا غير الدكتورة (سعاد)!

الدكتور (محمد) وهو مازال جالسا على الأرض بدأ يتساءل:

- مين الدكتورة (سعاد) دي!!؟ هي في مستشفى إيه طيب عشان أقدر أتواصل معاها!؟

شعرت (وعد) أنه يستهزئ بها أو يتعمد تضليلها لغرض ما وقالت في تعجب:

- هو انت مش شايف انت فين انت دلوقتي في عيادة الدكتورة (سعاد)!! وأنا في انتظارها وهي على وصول وتلك الغرفة هي الغرفة التي أعالج منها كل جلسة وأتواجد بها باستمرار..

الدكتور ضاحكا ومتعجبا كلامها رد قائلا:

- عيادة!! عيادة إيه يا وعد اللي احنا فيها دا بيتكم يا وعد ودي غرفتك اسمحيلي أكشف عليكي شكلك في حالة مش طبيعية!!

(وعد) تقف مذعورة بسبب كلمات الدكتور (محمد) واضعة يدها فوق رأسها لا تصدق ما تسمع ولا تريد أن تسمع لأحد فبدأت بسد أذنها من تلك المحاولات التافهة لزعزعة أفكارها ولخبطة عقلها وصرخت في وجهه وقالت:

- انت اللي مش طبيعي أنا مفيش حد هيكشف عليا غير الدكتورة سعاد غير كدا محدش يقرب مني!!

(مي) جمعت كل قواها وبدأت بالانفعال عليها وأمسكت بها بشدة بالغة وألقت بها على ذلك الكرسي مرددة:

- مفيش حاجة اسمها الدكتورة سعاد افهمي بقى!!

يتدخل الدكتور ليهدئ الوضع قليلا ويحدث (مي) قائلا:

- مينفعش كدا يا مي احنا لازم نعمل اللي هي عايزاه نشوف مين الدكتورة سعاد دي ونخليها تكشف عليها مش شرط أكون متواجد المهم إننا نطمن عليها....

(مي) بانفعال شديد قالت:

- يا دكتور (محمد) مفيش حاجة اسمها الدكتورة سعاد من أصله سعاد دي ملهاش وجود أساسا!

حالة من الذهول مختلطة بعدم التصديق سيطرت على عقل (وعد) وتابعت حديثها مرة أخرى:

- وانتي هتعرفي منين وانتي كل حياتك كانت برة بقالك كام سنة عايش بعيد عني تعرفي مين بيدخل عليا ومين لا!!

الدكتورة سعاد هي الوحيدة اللي بتساعدني ازاي تكون مش موجودة ها!!؟

(مي) بصرخة واحدة قالت:

- عشان ماتت!!

لم تستطع (وعد) أن تستوعب كل ما قالته أختها دفعة واحدة، شعرت برعشة شديدة تجري في جسدها وكأنها على أعتاب الموت واصطدم جسدها المنهك بالحائط وقالت وهي تحاول أن تفهم ما الذي يجري:

- ماتت ماتت ازاي!!!

(مي) تضرب كفا على كف وتبتسم أخيرا وتقول بكل هدوء:

- عشان سعاد دي تبقى أمك أمك يا وعد!!

اكتفت (وعد) بالصمت وسط حالة الذهول التي تلازمها، تصارعت الأفكار في رأسها، حاولت أن تتذكر الحقيقة ولكن دون جدوى مع نظرة بدأت تجوب بها بقاع الغرفة..

وأكملت (مي) حديثها:

- (سعاد محمد) اللي عمرك ما جيبتي سيرتها في أوراقك إنها أمك أنا قريت الورق دا وشوفت كل حاجة انتي كاتباها في كل جلسة على حد علمك ولكن الحقيقة إنك كنتي في حالة نفسية شديدة ويخيل لك بعض الأمور التي لا وجود لها على الإطلاق.

تلك الأوراق التي تكتبينها يوميا هي الجلسة الحقيقة التي نظمتها في خيالك فأمك كانت دائما ما تصطحبك وانتي صغيرة إلى عيادتها الخاصة فهي بالفعل كانت دكتورة نفسية.

هذا ما جعلك تمحين كل شيء وتجعلين حبك لأمك فرصة لكي تعالجي من مرضك النفسي فمحوتي ذكريات الأمومة وسيطرت عليكِ ذكرياتك معاها كطبيبة فقط وأقنعتي نفسك أنك تعالجين على يدها..

(سعاد محمد) لم تكن موجودة في الأساس في حياتنا لفترة طويلة فقد ماتت مع أبيكي في تلك الحادثة المروعة بعد أن سقطت بهم الطائرة وهم عائدون إلى أرض الوطن بعد أداء مناسك الحج.

(سعاد محمد) ماتت من زمان ولكن عقلك لسه مستوعبش إنها ماتت بعد ما قومتي بدورها في تربيتنا فقد أزلتيها من ذكرياتك فجأة دون أن تدري.

كنتي تسجلي جلساتك لنفسك انظري إلى هذا المسجل وتلك الشرائط المرمية على هذا المكتب فأنا متأكدة أنها تسجيلات هذه الجلسات التي اقتنعتي أنها موجودة وهي لا أساس لها انظري!

أسرعت (وعد) بالإمساك بذلك المسجل للتأكد من الأمر بنفسها تريد أن تكون محقة وإلا تكون كل ما مرت به في تلك الغرفة مجرد خيال زائف مر عليها..

وبدأت (وعد) بتشغيل ذلك المسجل ومع أول شريط وضعته بدأت تسمع نفسها وهي تتحدث دون رد يذكر من أحد.. تتحدث وتجيب على أسئلة ليس لها وجود من الأساس.. وبدأت بجر الشريط الثاني فالثالث وتبين لها نفس الأمر أنها كانت تحدث نفسها في صمت شديد وكأنها بالفعل في جلسة ويحدثها أحد.

أمسكت (وعد) بالمسجل وإذا بها تلقيه بشدة على الأرض منفعلة فاقدة للسيطرة على نفسها لا تصدق ما يحدث من حولها وتحاول أن تكذب نفسها دون جدوى.

أسرع الدكتور (محمد) بمساعدة (مي) بالإمساك بوعد خوفا من أن تفعل شيئا في نفسها، يمسكها من يدها ولا يريد أن يتركها، جذبت يدها بعنف لا تستطيع تخليص نفسها من قبضته، تحاول وتحاول وتصرخ، وهو يضغط بشدة على يدها يكاد يحطمها، ثم أخرج من جيبه الخلفي حقنة مهدئة من معطفه وأمسك بيدها وهي تقاوم بشدة، تحاول التخلص من قبضته وأطلقت صرخة قوية حتى انكسرت الحقنة في يدها وبدأت تنزف بشدة ولكن سرعان ما جرى في دمائها مفعول ذلك المهدئ مما جعل جسدها يتهاوى ويسقط بين أيديهم ولكنهم أمسكوا بها ووضعوا جسدها على الأرض بهدوء تام..

نامت أخيرا بعد تلك الحقنة المخدرة التي سارت في عروقها.. نامت وهي لا تشعر بنفسها على الإطلاق.. لا أحد يعلم ما تعاني منه وما هذا المرض الذي يجعلها متذبذبة المشاعر.. لا تستطيع أن تسيطر على نفسها ولا تستطيع أن تقاوم حتى..

تأتي تلك الغيمة السوداء التي تسيطر عليها، كأن الزمان ضاق بها ويود التخلّص منها، يأتيها ذلك الشبح المخيف، الذي يحمل اسما دائما كانت

تخشاه إنّه شبح الرحيل، يأتيها فجأة لينزع روحا استوطنت فيها ليذيقها الألم والآه، تاركا لها مساحة من الذكرى الدامعة، فيلبس الكون السواد ويعلن الإحساس الحِداد.

كل ذلك بسبب ما مرت به في الماضي.. ذكريات جعلت منها شخصا آخر.. قد نغيب كالغروب وقد يلهينا الزمن، ولكن يبقى نبض القلب لا ينسى ما مر به.

ذكرياتنا إمّا لهيب يشتعل بالنفس نتمنى خموده أو إطفاءه، وإمّا نور نستضيء به في القادم من أيامنا، وإما زلزال يُحطّم نفوسنا ولا نستريح معه أبدا.

الفصل العاشر

"ستوكهولم"

"حالة اضطراب المشاعر"

مزيج بين الخوف والقلق يجتاح القلوب

فلتبدأ اللعبة الآن..

تابع فالقادم صادم.

وها هي (وعد) ترتدي عباءة قد يمتد طولها حتى أطراف أصابع القدم ويظهر عليها الرضا التام وتشعر أن المكان أصبح ملكا لها..

الآن أصبحت بين جدران تلك المستشفى التي يحيط بها سور حديدي ممتد، تتوسطه بوابة ارتفاعها ثلاثة أمتار، المكان يستظل بغابة كثيفة من الأشجار، تحيط به من كل اتجاه.

مع اقترابنا من المكان نشاهد عددا كبيرا من حراس الأمن الموزعين على المدخل الكبير، يحدّقون فى وجوه الزوار ويشدّدون الإجراءات الأمنية قبل السماح بدخول أى شخص.

كل هذا القدر من الحرص ربما يشبه إجراءات دخول جهة سيادية أو سجن تابع لوزارة الداخلية، لكنها هنا لتأمين زوار مستشفى «العباسية للصحة النفسية» حيث الهدوء والابتعاد عن كل شيء، وجوه لم تعد موجودة، زحام السيارات الذي كان يملأ جنبات حياتنا أصبح معدوما.

وأصبحت (وعد) جليسة تلك الغرفة وذلك العنبر الذي استقرت به بعد تلك الحالة التي انتابتها مما جعلها تسكن تلك المستشفى دون تذمر يذكر فأصبحت على قناعة أنها مريضة ويجب أن تعالج مما وصلت إليه الآن..

اليوم الأول من شهر فبراير هو موعد لإقامة حفل سنوي للترفيه عن المرضى بتغطية الصحافة والإعلام والمواقع الإخبارية كنوع من الشد بأزرهم وإلقاء الضوء عليهم من جديد.

تتحرك (مي) بصحبة صديقها الدكتور (محمد) باتجاه غرفة الدكتور الكبير (علاء مشرف) وهو المسئول عن إدارة المستشفى بالكامل ومتابعة حالة المرضي بنفسه للوقوف على صحتهم..

(مي) أرادت أن تعرف ما نوع المرض النفسي الذي تعاني منه (وعد) طلية تلك الفترة الماضية فهي لم تتعرف حتى الآن على الحالة التي انتابت أختها بعد أن قبعت (وعد) أسبوعين كاملين في المستشفى للوقوف على حالتها وعلاجها منها...

تسير (مي) وهي تنظر إلى جنبات المستشفى المزدحمة نوعا ما، وأمام عنبر ١٥، استمعت إلى صوت قوى لـ«دي جي» و«ساوند سيستم» وصوت مرتفع لإحدى أغاني المهرجانات، كأنها دخلت أحد الأفراح الشعبية، اقتربت أكثر من الجمع الذى مثلت سيدات مستشفى الصحة النفسية أغلبه، حالة من البهجة بين النزيلات، عامل الـ«دي جي» يغيّر الأغنية بأخرى أكثر صخبا، تتمايل السيدات في دلال، ويتراقصن على أنغام الموسيقى السريعة، يلتحمن ويبتعدن، تتوقف الموسيقى، فلا يتوقفن عن الرقص، تعود مرة أخرى أشد بهجة، فى الحفل الذى أقامته الشئون

الاجتماعية بالمستشفى، للترفيه عن المرضى النفسيين لقسم «١٥» وغيره من أقسام المستشفى والذي يقام كل عام للترفيه على النزلاء.. سيدات القسم تبدو على ملامحهن الطيبة والمودة، مع بعض التخوّف من الغرباء.

أخيرا وصلت (مي) بصحبة صديقها الدكتور (محمد) إلى مكتب الدكتور الكبير (علاء مشرف) وسط حالة من الدهشة تسيطر عليها لما تعج به المستشفى من مشاهد غريبة لم تتوقع أن تراها هنا.

الدكتور (علاء) مرحبا بهم قائلا:

- أهلا وسهلا أستاذة (مي) وازيك يا دكتور (محمد) المستشفى نورت..

رد الدكتور (محمد) مبتسما:

- ربنا يخليك يا دكتور منورة بيكم..

في حين مازالت الدهشة تسيطر على (مي) فلم تجب وكأنها لم تسمع ترحيبه.

لاحظ الدكتور (علاء) تلك الدهشة التي تسيطر على (مي) فأردف قائلا:

- إيه يا أستاذة (مي) مالك سرحانة في إيه متقلقيش أختك في حال أفضل وكل يوم بتتحسن واحنا هنا كلنا في المستشفى واخدين بالنا منها متقلقيش.

ابتسمت (مي) وردت قائلة:

- أنا عارفة كويس المجهود اللي انتو بتقوموا بيه يا دكتور (علاء) مش محتاجة وصاية لكن اللي دهشني حالة الهرج والمرج التي تسيطر على عنبر ١٥ واللي بتسكنه أختي (وعد)!!

رد الدكتور (علاء):

- لا متقلقيش مفيش أي حالة هرج خالص دي احتفالية بتتعمل كل سنة وهي مش في عنبر ١٥ بس لا دي في كل العنابر ودا معاد الحفلة السنوية يعني شوية تغيير مع إنك ترسم بهجة على وجوه المرضى دا شيء مش سهل خصوصا إن هما أصبحوا منعزلين عن العالم الخارجي..

قالت (مي) متسائلة:

- طب يا دكتور فات أسبوعين زي ما حضرتك طلبت عشان تتعرف على الحالة اللي بتمر بيها (وعد) ونعرف هي بتعاني من إيه؟

الدكتور (علاء) وبكل هدوء فتح درج مكتبه وأخرج منه بضع أوراق في ملف مكتوب عليه اسم (وعد) وهو تقرير الحالة التي انتابتها.

وبدأ بفتح الملف وإلقاء ما فيه من كلمات على سمع (مي) وزميلها الدكتور (محمد) قائلا:

- (وعد) كنا نعتقد في بداية الأمر أنها تعاني من حالة انفصام شديدة وذلك نظرا لما بدر منها في اختزال والدتها (سعاد محمد) أنها طبيبة تساعد في علاجها والوهم أن تلك الشخصية موجودة على أرض الواقع وتتعامل معاها بشكل طبيعي.

ولكن هذا النوع من المرض يسمى انفصام إذا تكرر هذا المشهد بشكل أو بآخر باختراع شخصيات وهمية ليس لها وجود بيننا الآن ولكنه كان مجرد حادث عابر ومخرج لمرض آخر نادرا ما ينتج عنه بعض من حالة الارتباك في الشخصية وبعض الهلاوس من شدة الصدمات.

(مي) بتوتر شديد سألت:

- مرض إيه دا يا دكتور!!؟

أجاب الدكتور (علاء) في هدوء شديد قائلا:

- متلازمة ستوكهولم.

(مي) مازحة ردت وقالت:

- ستوكهولم دا كل معلوماتي إنها مدينة في السويد ازاي تحول فجأة لمرض وإيه سبب تسميته باسم المدينة**!؟**

ضحك الدكتور (علاء) ورد قائلا:

- "متلازمة ستوكهولم" هي ظاهرة نفسية تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المُختَطِف. وتسمى أيضا برابطة الأسر أو الخطف وقد اشتهرت في العام ١٩٧٣ حيث تظهر فيها الرهينة أو الأسيرة التعاطف والانسجام والمشاعر الإيجابية تجاه الخاطف أو الآسر، تصل لدرجة الدفاع عنه والتضامن معه.

هذه المشاعر تعتبر بشكل عام غير منطقية ولا عقلانية في ضوء الخطر والمجازفة التي تتحملها الضحية، إذ أنها تفهم بشكل خاطئ عدم الإساءة من قبل المعتدي إحسانا ورحمة منه.

وقد سجلت ملفات الشرطة وجود متلازمة ستوكهولم لدى ٨% من حالات الرهائن.

ويمكن اعتبار متلازمة ستوكهولم كنوع من الارتباط الذي له علاقة بالصدمة، ولا يتطلب بالضرورة وجود حالة خطف، فهو ترابط عاطفي قوي يتكون بين شخصين.

إحدى الفرضيات التي تفسر هذا السلوك، تفترض أن هذا الارتباط هو استجابة الفرد للصدمة وتحوله لضحية.

فالتضامن مع المعتدي هو إحدى الطرق للدفاع عن الذات.. فالضحية حين تؤمن بنفس أفكار وقيم المعتدي فإن هذه الأفكار والتصرفات لن تعتبرها الضحية تهديدا.. وقد يطلق على متلازمة ستوكهولم اسم متلازمة هلسنكي.. أو تخويفا أطلق على هذه الحالة اسم "متلازمة ستوكهولم" نسبة إلى حادثة حدثت في بالسويد في مدينة ستوكهولم حيث سطا مجموعة من اللصوص على بنك، واتخذوا بعضا من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام، وخلال تلك الفترة بدأ الرهائن يرتبطون عاطفيا مع الجناة، وقاموا بالدفاع عنهم بعد إطلاق سراحهم.

وهذا تماما ما عانت منه (وعد) ف طيلة الستة أيام التي كانت مختطفة بهم كان المختطف يعاملها بحسن ويحكي لها بعضا من تفاصيل حياته المأساوية التي أدت به ليكون مجرما وفاسدا ولهذا تعاطفت معه وانتابها ذلك المرض الذي أدى إلى بعض من حالات الهلاوس وانفصام

الشخصية على الرغم أن المرضين مختلفين تماما ولكن في تلك الحالات النفسية لا نستبعد أي حالات قد يصاب بها المريض..

(وعد) كانت تعاني من قبل من حالة نفسية شديدة السوء بسبب حالة الوحدة التي كانت تسيطر عليها وهذا ما أدى لتعلقها الشديد بالمجرم الذي قام باغتصابها وعلى الرغم من ذلك تعاطفت معه بمجرد أن حكى بعضا من تفاصيل حياته مما جعلها تصاب بذلك المرض سريعا دون أن تشعر كيف تحركها مشاعرها في الاتجاه المعاكس.

يمكن القول بأنّ ضحايا هذه المتلازمة يعانون بشكل عام من العزلة الشديدة، ومن اعتداء جسدي وعاطفي، ومن الأشخاص الذين يقعون فريسة لهذه المتلازمة:

- الأطفال الذين يعانون من سوء المعاملة، وضحايا الاختطاف، وأسرى الحرب، وحالات التعدي والاغتصاب، فتؤدي هذه الظروف إلى تصرف الضحايا بشكل متوافِق وداعِم للطرف الخاطِف أو المضطهد كتكتيك، وتفسير ذلك وفقا لإحدى الفرضيات التي درست هذا السلوك، هو أنّ إيمان الضحية بتصرّفات المعتدي وأفكاره يجعلها لا تعتبر ما تعيش فيه تخويفا أو تهديدا..

بعد انتهاء الدكتور (علاء) من وصف الحالة التي تمر بها (وعد) أرادت (مي) أن تطمئن قليلا وسألت:

- طب وليه علاج المرض دا يا دكتور!!؟

ابتسم الدكتور (علاء) وبهدوء قال:

- علاج هذه المتلازمة يتطلّب جهودا كبيرة من المعالجة السلوكية، والجلسات المستمرة التي تهدف إلى تعديل الفكرة عند الضحيّة، وكتابة الذكرى بطريقة مختلفة من أجل تغيير صورة المعتدي في ذهن الضحية من كونه شخصا منقذا ورائعا، إلى حقيقة أنّه شخص معتدٍ ومجرم..

(مي) بعد أن اطمأنت قليلا على توافر طريقة للعلاج قالت:

- شكرا يا دكتور على المجهود اللي انت بتبذله في سبيل خروج (وعد) من حالتها اللي بتمر بيها.

قام الدكتور (علاء) من على مكتبه ليصافحهم قائلا:

- لا شكر على واجب دا شغلي ودا واجبي وإن شاء الله خلال فترة قصيرة هنكون وصلنا لنتيجة في العلاج تساعد (وعد) إنها تعيش بشكل طبيعي.

دلوقتي تقدروا تشوفوا (وعد) قبل ما تمشوا في خبر على بوابة العنبر بتصريح زيارة ليكم.

(مي) ردت والابتسامة تملأ جنبات وجهها وقالت:

- شكرا يا دكتور على الاهتمام..

رد دكتور (علاء) مازحا:

- لا شكر إيه الدكتور (محمد) يبقى صديق شخصي ودايما واقف معانا في الأوقات الصعبة ودا جزء بسيط..

رفع الدكتور (محمد) يده ليصافح الدكتور (علاء) ورد بدعابة:

- لا جزء بسيط إيه احنا هتلاقينا عندك كل يوم..

ابتسم بشدة الدكتور (علاء) ورد على دعابة (محمد) قائلا:

- تنورونا في أي وقت دا المستشفى يزيدها شرف.

وانتهى اللقاء بالتصافح والابتسامات بينهم وخرجت (مي) بصحبة الدكتور (محمد) باتجاه عنبر ١٥ لزيارة (وعد) وإلقاء نظرة عليها وعلى وضعها الصحي.

دخلت (مي) إلى عنبر ١٥ وعلامات الدهشة تملأ جنبات وجهها.

حيث إن السيدات فى عنبر ١٥ وغيره من عنابر المستشفى، حليقات الشعر، ملابسهن ليست أكثر من ملابس بيت بسيطة، جلابيب أو بيجامات منزلية، لكنهن ما زلن يشعرن بأنوثتهن، رغم خلع المستشفى عنهم أكثر تعبير عن مظاهر الأنوثة، بحرمانهن من شعورهن.. وأثناء

الحفل، التقت أخيرا بوعد في عنبر ١٥، كانت تجلس على سرير بسيط، ترتدي «جلباب بيتى» يمتزج فيه الأبيض بالبرتقالي، وتغطي رأسها بغطاء رأس من التريكو الأحمر، على الرغم من أنها الوحيدة التي تحتفظ بشعرها ولم تقم إدارة المستشفى بحلاقة شعرها أسوة بالآخرين ولكنها فضلت أن تغطي رأسها لتكون مثل الجميع.

تمسك بدفتر أوراق صغير الحجم والقلم في يدها وكما هي عادتها تشعر بنفسها عندما تسرح بخيالها وتكتب فهي لم تنسَ يوما أنها كانت صحفية لم تكمل مشوارها بسبب الظروف التي مرت بها ومنذ ذلك الحين تجد في الكتابة روحها التي تضيء عليها لمحة من الماضي..

وعلى عكس النظرات المترقبة خارج العنبر، وأثناء الحفل استقبلتها بضحكة بسيطة ووجه بشوش..

أقدمت (مي) عليها بهدوء شديد وابتسامة تضيء ملامح وجهها وقالت:

- (وعد) أخبارك إيه طمنيني عليكي!!

(وعد) بنفس مطمئنة ردت قائلة:

- أنا كويسة يا (مي)..

أكملت كلامها (مي) وقالت:

- عاملة إيه في المستشفى مع الناس اللي معاكي دول!!؟

(وعد) وبطريقتها المعتادة ردت وقالت:

- المرضى الذين أتوا ليتلقوا العلاج النفسي هنا بمستشفى الأمراض النفسية والعقلية صدموا بأن المجتمع لا يتقبلهم بل يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يشوههم فى المرات التى خرجوا فيها ليندمجوا في الحياة، فعادوا من جديد إلى مستشفى الأمراض النفسية هذه المرة عقلاء راشدين بكامل قواهم ليعيشوا في مجتمع المستشفى الذي تقبلهم، وصنع منهم شخصيات جديدة فلا تقلقي على تواجدي هنا فكل من هنا هم عقلاء أكثر مما يعيشون بيننا في الخارج..

(مي) باندهاش كبير قالت:

- انتي خلاص حاسة إن دا مكانك وشايفة اللي حواليكي دول عقلاء أكتر مننا يا (وعد)؟؟ لازم تخفي وتطلعي بالسلامة من هنا انتي قادرة تعمليها صدقيني.

ردت (وعد) بانفعال شديد:

- من قال إني هنا مريضة وإن عقلي قد ذهب هباءً منثورًا، من قال إني لست منكم وأني لم أعد صالحة للحياة، أنا العاقلة وأنتم المجاذيب فى مجتمعكم الباطل، هنا لم نسرق ولم نتاجر بأوجاعنا، هنا مجتمع صافٍ لا يقتل ولا يذبح أخاه مهما كانت ديانته، هنا الأمن، هنا لا يوجد بيننا من يتاجر بطعامنا من يزيف عقولنا، هنا العقلاء أما أنتم وعالمكم مجاذيب فاذهبوا بعالمكم لن نكون معكم!

(مي) استقبلت هذه الكلمات بغضب ولكنها لم تبدِ ذلك وحاولت أن تهدئ من روعها قليلا وردت بهدوء شديد:

- أنا مستغرباكي يا (وعد) بجد مستغربة إنك استسلمتي كدا للمرض بسهولة اللي أعرفه عنك إنك أقوى من كدا أنا عارفة ممكن أكون قصرت معاكي كتير واتسببت ليكي في أذى لكن لا مش قادرة أشوفك قاعدة وسط المرضى راضية ومسلمة كدا!

وتوقفت فجأة الكلمات في حنجرتها وبدأت الدموع تذرف على وجنتيها مثل اللهب، لم تستطع أن تقاوم (مي) أن ترى أختها على هذه الحالة، فرفعت يدها ببطء شديد لإزالة تلك القطرات الملتهبة من الدموع في محاولة منها للسيطرة على نفسها..

وبعد فترة صمت استمرت لدقائق بكت فيها (مي)، انتبهت أخيرا (وعد) وكما هي عادتها وبهدوئها ألقت بكلماتها عليها من جديد وقالت:

- الأغرب من أن يعبر مريض عن ارتياحه للتواجد فى مستشفى هو أن تكون هذه المستشفى ملجأ له وبيتا، لكن الأعجب من كل ما مضى أن يترك مريض مستشفى العلاج النفسى ليعود لها مرة أخرى لعدم قدرته على العيش في الواقع، بل وإعلان نبذه للواقع، والإصرار على الغياب عنه بمطلق إرادته هذه المرة، إنها قصة العشرات بل المئات من المرضى النفسيين فى مصر ولست وحدي، أخاف أن أذهب وأعود من جديد بكامل إرادتي إلى نفس المكان!!

صمتت (مي) بعد تلك الكلمات ولم تجب وكأنها صدمت، كأن هناك شيئا ما صعق تفكيرها، فبقيت في مكانها متسمرة تماما ولا تجد تفسيرا حقيقيا لتلك الصرخات التي أطلقتها (وعد) في وجهها في محاولة منها أن تبقى كما هي هنا جليسة تلك المستشفى.

أفاقها أخيرا صديقها الدكتور (محمد) من حالة الصمت المبهم التي سيطرت عليها قائلا وبكل هدوء:

- (مي) انتي كويسة!؟

(مي) لم تجب وهمت وتحركت مسرعة للخروج من العنبر والمستشفى دون إلقاء حتى السلام، وتحرك وراءها بشكل أسرع صديقها في محاولة منه للسيطرة على الموقف!

(وعد) لم تفاجأ برحيل (مي) فهي من أرادت أن تذهب وبلا رجعة حتى تتأكد أنهم يعيشون في مجتمع مريض لا يقتصر فقط على تلك المستشفى أو ذلك العنبر..

وأخرجت من جديد ذلك الدفتر وبدأ تكمل كتابة مذكراتها دون الالتفات لأحد فالجميع مشغولين أما بالرقص أو الغناء والحفل مازال مستمرا وتدفقت عليه وسائل الإعلام بمختلف أشكالها ولكنها فضلت أن تحتفل في صمت مع كتابتها، وفجأة باتت في عزلة عن الجميع وشعرت أن كل شيء حولها يتلاشى ويختفي، بدأ المكان يدور بها للحظات، تشعر أن هناك رائحة غاز قوية امتزجت بشفتيها، ما الذي يحدث من حولها، لقد قام أحدهم بوضع ذلك المنديل المخدر على فمها فامتزجت تلك الرائحة بشفتيها واستنشقتها رغما عنها، فشعرت أن جفونها ثقلت والمكان أصبح يدور بها فأسقطت تلك الأوراق من يديها وسقطت بجوارها فاقدة للوعي تماما!!

الفصل الحادي عشر:

"خيالات زائفة"

"ندمن تعاطي الخيال عندما لا يرضينا الواقع"

حملتُ أوراقها واتجهت إلى البحر، اتجهت هناك لترى ذلك المنظر الذي لطالما ملأ القلوب بمشاعر تختلطُ عند رؤيته وتهمسُ العيون بما في الخواطر من جنون لأجله.

إنه موعد غروب الشمس.. وقفت أمام ذلك البحر، كانت أجواؤه لطيفة وألطفُ ما هناك صوت الأمواج..

تشعر بأنك في صفاء بعيد عن الهموم تنظر حولك وترى المنظر الجميل والبحر والشمس يتهامسان وقوارب الصيد الصغيرة التي تذكرك بالماضي البسيط.

بدأ ذلك البحر يمتلئ بخيوط الغروب وأصوات تلك الأمواج تغرسُ الشوق في قلبها.. نعم إنه شوق الرؤية إلى السماء والشمس تغرب.

منظر يحيي القلوب البائسة.. إنه ذلك اللون لون الغروب.. الذي طوى صفحات الأمس وبث الحياة في النفس.. ملأ الأرجاء بعطره.. وغمر المشاعر بروعته.

تلك المشاهد بسحرها الخلاب جعلت من (وعد) شخصا آخر تروق له الحياة وينعزل عن هموم الدنيا التي كانت تطاردها مسبقا.

لا تعرف ما يدور في الخارج هي أرادت فقط أن تكون مع أمواج البحر وسن قلمها الذي يروي تفاصيل جديدة لحياتها القادمة..

تحمل بين يديها ذلك القلم وتلك الأجندة الصغيرة التي تبوح فيها بكل ما تشعر به ولا يستطيع أن ينطق به لسانها.

الساعة تشير للثامنة مساءً وكأن الزمن توقف للتو!!

ما الذي يحدث! لمَ تتمايل صور البحر أمامي وكأنها خيالات زائفة تذهب وتأتي مع الرياح!!؟

هل مازلت أحلم أم أدون في مذكراتي ما أتمنى أن أشاهده!؟

ما هذا لقد ذهبت صور البحر وجمالها في مهب الريح وظهرت خلفها قضبان وأسلاك شائكة ما هذا الهراء!!؟

بدأت تجوب (وعد) بقاع الغرفة بتوتر شديد هي لا تدري ما الذي يحدث! كيف!!

كيف تلاشت أمامها صور البحر ورمال الشاطئ فجأة دون سابق إنذار!

هل كانت تحلم بما تدونه في مذكراتها أم أن الزمن قد انقلب عليها فجأة!؟

وبدأت تتساءل بشيء من الجنون والتوتر بدأ يسيطر على مجريات الأمور لديها.. بدأت تفرك بيدها في بؤبؤ عينيها لعلها تصحو من غفلتها أو يكون كل ذلك مجرد خيال زائف، ولكن لا شيء تغير أمامها مازالت

القضبان والأسلاك تحيط بها من كل صوب وغرفة منعزلة لا تعلم منذ متى وهي تتواجد بها!!

كلها أسئلة سيطرت على عقلها وهي تتحرك ببطء شديد باتجاه الباب الحديدي، أرادت أن تخرج من ذلك المكان الغريب، وخطواتها الثقيلة الخائفة تحملها بالكاد حين تقترب خطوة تلو الأخرى من باب الغرفة، وحين أصبحت على بعد خطوة واحدة من الباب أخرجت تلك الكلمات بخوف شديد وبصوت مبحوح قالت:

- أنا فين!؟

ومازلت الإجابة غامضة لا أحد يجيب والتوتر بدأ يهز أركان جسدها بشدة، فكلما تأخرت الإجابة ازدادت ضربات قلبها وأصبحت تخفق بشدة بالغة والعرق يتصبب من وجنتيها.

وأخيرا بدأت تسمع صوت همسات تخرج من خلف تلك القضبان التي تعتلي ذلك الباب الحديدي الضخم وبدأت تركز السمع قليلا، لا شيء واضح على الإطلاق كل ما في الأمر بصيص نور يأتي من الخارج وهمسات لجنود تبدو عليهم الغلظة يتحركون يمينا ويسار وكأنهم لا يسمعون صيحاتها من الداخل!!

على الجانب الآخر هناك غرفة ترى من خلالها بوضوع ملامح ذلك المكان الذي تسكنه (وعد) عبر حاجز زجاجي صلب لا يكشف من الخارج أن هناك أحد يراقب تصرفاتها.

يظهر داخلها رجل ذو شارب كبير ولحية تكاد تكون منعدمة وتظهر على وجهه ملامح الغلظة والغضب وهو ينظر من خلال الحاجز الزجاجي ويشاهد تصرفات (وعد) الجنونية، مازالت نظراته المتفحصة تخترق الحاجز الزجاجي.

أخيرا أفاقه أحد المتواجدين بالغرفة معه ويبدو عليه أنه طبيب وهو يرتدي ذلك البالطو الأبيض ويركز هو الآخر بنظره على ما تفعله (وعد) قائلا:

- أي يا باشا وصلت لحاجة!!؟

يرد الآخر:

- اسمي المقدم أحمد شوقي وبعدين مفروض أنا اللي أسألك يا دكتور وصلت لحاجة مع الحالة دي ولا نتصرف احنا بطرقتنا معاها!؟

- الحالة دي يا أحمد بيه واضح عليها تأثرها الشديد باللي حصل ليها ومن الواضح كدا إنها مصابة بانفصام وخيالات وهلاوس بتخليها تخرف بالكلام ومش عارفين ناخد منها كلمتين على بعض!!

يرفع المقدم أحمد شوقي يده ويداعب شاربه رافعا حاجبيه متسائلا:

- يا دكتور (محمد) احنا على الحالة دي بقالنا فوق الشهر مش عارفين ناخد منها كلمتين على بعض في التحقيق وكل اللي هي بتقوله مش هيفيدنا في القضية.

الدكتور محمد مطأطئا رأسه رد قائلا وصوته يكاد يخرج:

- هنحاول معاها للمرة الأخيرة يا باشا وبعد كدا ليك حق التصرف.

- وأنا مستني التقرير بتاعها الأخير يكون على مكتبي بكرة الصبح.

انصرف المقدم أحمد شوقي بعد أن أخرج تنهيدة غضب في وجه الدكتور (محمد) المسؤل عن حالة (وعد) هنا في ذلك السجن!!

"ما الذي يحدث انت لا تفهم شيء فقط تابع بشغف فالقادم أسوأ!!"

الفصل الثاني عشر

"الحقيقة القاتلة"

"ما أصعب أن تعيش مخدوعا وتقتل

بفعل الزمن"

بسطت الشمس خيوط أشعتها الذهبية على ظلام الغرفة من خلف تلك القضبان فأضاءت المكان وبدأ الهواء يداعب المكان بنسماته و(وعد) مازالت تجلس في منتصف الغرفة تتصفح آخر أوراق مذكراتها لعلها تجد إجابة واضحة على سبب تواجدها هنا.

أمعنت النظر فيها وبدأت تقرأ بلهفة غير مسبوقة:

- العالم لا يلتمس الاعذار يا عزيزتي مثلك تماما، أعلم أنك تكرهيني ولا تودين التحدث معي لذلك كتبت لك هذه الرسالة.. كطفل صغير افتقد حضن حبيبته فلم يجد حيلة إلا أن يراسلها من جديد.

أنت تنظرين إلى تلك الورقة الآن ولا تعرفين من يحدثك فأنا لم أذكر اسمي لتعلمي أنني تعلمت تلك الفصاحة والبلاغة في الحديث منك.

أنا (يحيى) يا وعد الذي مازلت نادما عما فعلته يدي بكِ في سابق الزمن.

أنتِ الآن تنظرين إلى تلك الورقة باشمئزاز وكأنها فأر متعفن ترفعين حاجبك.. تصرين أني لم أحفظ تفاصيلك بعد!

ولكن لا بأس أريد أن أعلمك بأمرين: الأول أنني أعلم أنكِ تكرهيني وبشدة وكل ما كنتِ تفعلينه في السابق من أجلي رغم كل شيء سيئ

فعلته بك كان مرضا يسيطر على مشاعرك ويحركك في الاتجاه المعاكس.

فلا تحاولي التفكير أعلم أنك لن تقتنعي لو قلت لك أنك الوحيدة التي سكنت جوارحي وأحببتك بشدة.

توصلت أخيرا للجواب الذي يطرق في بالك أنك تكرهيني ولكن لم يقل اهتمامي بك لم يكن داخلي أن أسيطر على هذا الإعصار الذي بداخلي الذي ولد بحبك.

لم أستطع المقاومة، أبعدتك عن الإعصار من جميع الجهات ولم أستطع نسيانك مطلقا، ولكن لا يهم أعلم ما تمرين به وما أصبحت به الآن.

ولكن الأهم هو الأمر الثاني والأكثر بشاعة أنني لم أعد موجودا في الحياة بعد كل ما فعلته بك في الماضي.

ستفكرين أيضا ومجددا ولن تتوصلي لشيء يقنعك أنني لم أعد موجودا.

انتهكني العالم ولم يعد بداخلي شيء سوى جسد من الخارج فقط.. إنسان يأكل ويشرب في الأسبوع مرة أو اثنتين.. يأكل كي لا يموت لا أكثر.

غيابك الآن والذنب الذي أحمله فوق رأسي أفقدني الكثير والكثير.. أفقدني شغفي لاستكمال حياة جئنا إليها كعقاب.. أنا أحبك كحجم معاناتي من بعد غيابك.

أخيرا أردت أن أعلمك بأن كل ما تحالف ضدك نال عقابه الأمثل.

فـ(مجدي) قد نال على جريمته في الفساد والتلاعب بالقوانين خمسة عشر عاما كاملا لن يرى فيهم ضوء الشمس.

أما عن أخوكي (مصطفى) فقد نال عقابه فأمسكت الشرطة السويسرية به بعد أن علمت أنه لا يحمل تأشيرة دخول وتم سجنه هناك لمدة خمسة أعوام كاملة ومن بعدها سيتم ترحيله إلى مصر، كل شيء أصبح منطقيا وعادلا كما كنتِ تتمنين.

إمضاء "يحيى حامد"

(وعد) تطوي تلك الرسالة وعقلها شارد منشغل ولكن أفاقت أخيرا عندما سمعت صوت مفتاح يدور في الباب من الخارج، تنتظر بشغف، ترى من القادم!

انتهى الدكتور (محمد) من خطواته الممتدة والسريعة ونفس أرهقها نزول الدرج وأصبح أمام (وعد) مباشرة وهي تحمل بين يدها تلك المذكرات، اقترب منها ومازالت أنفاسه غير منتظمة من الركض حتى أصبح أمام نظرها وهو يحمل ابتسامة حنونة، تحرك وساعدها على الجلوس على ذلك الكرسي الخشبي المتواجد في نهاية الغرفة، وجلس هو الآخر أمامها في هدوء شديد.

بادرت (وعد) بالكلام بعد أن كانت الكلمات ستخرج تباعا من فم الدكتور (محمد) ولكنها سريعا أرادت أن تبدأ هي الكلام معه وكأنها تعرفه معرفة شخصية وقالت بسرعة ولهفة غير مسبوقة:

- دكتور محمد ازيك!!؟

تعجب الدكتور (محمد) من ردة فعلها وابتسم ابتسامة بلهاء ورد عليها قائلا:

- انتي عارفة أنا مين يا (وعد) فاكراني كويس!؟

ابتسمت (وعد) في وجهه وردت بسرعة وقالت:

- أيوة فاكرك طبعا انت الدكتور محمد اللي جيت زرتني انت ومي أختي في المستشفى انت صديق أختي (مي) لكنها لم تعد تسأل وأنا لا أعرف مكانها أرجوك بلغها أني اشتقت إليها!

قال بصوت هادئ وكأنه مجبر على الابتسام بصفة دائمة:

- وعد أختك فعلا جات زارتك هنا مرة من فترة وأنا كنت معاها هنا مش في المستشفى يا (وعد) وأنا مش صديق ليها كما ذكرتي في مذكراتك وأنتِ لم تذهبي إلى المستشفى من قبل!!

كلها مجرد خيالات تؤرق عليك حياتك لازم تساعديني عشان تطلعي من الورطة اللي انتي فيها دي أنا يا (وعد) أملك الأخير عشان تتكلمي وتفتكري كل حاجة تلاشت وانقلب كل شيء عكسها في مذكراتك!!

شعرت (وعد) بغضب شديد وبدأ جسدها اللين يرتجف من الوهن وكادت أن تفقد اتزانها ولكن الدكتور (محمد) أمسك بها وساعدها على الرقود من جديد.

أصابها صداع شديد وشعرت أن الغرفة تدور بها، أمسكت بيده بشدة وهي تلتفت إليه لتسأله وهي تستعطفه والدموع تتساقط منها كجمرات اللهب الحارق قائلة:

- أنا مش فاهمة حاجة ورطة إيه اللي وقعت فيها؟ ومن امتى وأنا في المكان دا؟ هو أنا مسجونة؟ أرجوك قولي الحقيقة أنا مش فاهمة حاجة!!

ربت الدكتور (محمد) على كتفها بحنان بالغ، لمسته لها أصابتها بقشعريرة وخوف شديد وتوقفت فجأة وأغمضت عينها وتذكرت تلك المشاهد من جديد.

اليخت والدماء تتطاير من كل مكان وذلك الفستان الممزق من على جسدها وتلك اللمسة التي طالت كل ركن في جسدها، وفجأة انتفضت من مكانها وأزاحت يده.

تراجع للخلف هو قليلا في خوف عليها وقلق ونظر إليها وهو يحاول طمأنتها لما رآه من قلق يجتاحها قائلا:

- اهدي يا (وعد) انتي افتكرتي حاجة!؟

صمتت ولم تجب..

هو أعاد عليها السؤال من جديد في انتظار إجابة واضحة منها:

- وعد انتي افتكرتي حاجة ممكن تساعدنا!!؟

أخيرا (وعد) أفاقت على كلماته وقالت وهي ترتعش خوفا:

- الصورة مشوشة أرجوك صارحني بالحقيقة!؟

هو أخذ تنهيدة تنم عن الضيق قائلا:

- (وعد) انتي تعرفي إن دي الجلسة العاشرة اللي أقول فيها نفس الكلام.. وعد لو محاولتيش تفتكري النهاردة تفاصيل الجريمة مش هيكون ليا دور معاكي الفترة الجاية وجهات التحقيق هي اللي هتكمل معاكي.. فأرجوكي ساعديني أرجوكي!!

(وعد) تشعر أن تلك الكلمات مرت عليها من قبل ولكنها صدمت منها كأنها المرة الأولى التي تسمع فيها ذلك الكلام وقالت والكلمات تكاد تخرج من فمها:

- جريمة!! أي جريمة!؟

وقف الدكتور (محمد) وقد أشاح بيده في إشارة منه لرفضه التام لتصرفاتها وهم واقفا وأدار ظهره قائلا وهو يتحرك بخطوات بطيئة للغاية:

- (وعد محمد السيد) المتهم الأول والرئيسي في مقتل رجل الأعمال (يحيى حامد) على متن القارب الخاص به.. التقرير المبدئي بعد تشريح الجثة قال إنه فقد الوعي بعد ضربة قوية على رأسه من الخلف أسقطته أرضا ومن ثم التمثيل بجثته بسكين حاد أدت لإنهاء حياته في الحال.

يكمل وهو مازال يتحرك ببطء وقد توجه بنظره لها ونظر في عينها قائلا:

- شهادة الشهود وسجل المكالمات أثبت بما لا يدع مجالا للشك إنك الفاعلة.. ومن الوقت اللي تم القبض عليكي فيه وانتي على الحالة دي وبجوارك مذكراتك اللي صنعتيها من خيالك.. ووضعتي عنوان ليها باسم "ستوكهولم" من الواضح تأثرك الشديد بالمرض دا وإنك ملقتيش غيره مخرج عشان تباني قدام نفسك إنك بريئة وحولتي كل حاجة بخيالك وكأنك ملاك متحرك على الأرض لا يسعى للانتقام..

توقف فجأة وقد مال بظهره على باب الغرفة أو بالأحرى الزنزانة التي تسكنها (وعد) وانتظر منها أي رد فعل قبل أن يغادر ليكون بذلك فعل كل ما بوسعه قبل أن يرسل تقريره الخاص للمقدم (أحمد شوقي)، ولكن لا ردة فعل واضحة لا شيء على الإطلاق سوى علامات الصدمة والحيرة التي انتابتها وبدأت تفقد اتزانها لا تصدق ما وقع للتو على سمعها، نظرت بجوارها على الأرض لتجد تلك الأوراق المبعثرة والتي تحمل اسم "ستوكهولم" وأسفلها كتب عنوان صغير يحمل "حالة اضطراب المشاعر"، أغمضت عينيها في وهن شديد وسقطت أرضا.

"تابع لا تفقد تركيزك.."

الفصل الثالث عشر

"الخـروج الآمـن"

إذا اكتشفت أن كل الأبواب مـوصـدة تمسك

بالخروج الآمـن.

وفي ذلك الصمت المطبق بدأت (وعد) تستعيد جزءا من وعيها، توقظها ضربات قلبها المتسارعة، تشعر بثقل جفونها وكأنها فقدت وعيها منذ شهور مضت، ثوانٍ معدودة وبدأت تسمع صوت صيحات كثيرة بداخل الزنزانة التي تقطنها لكنها في بادئ الأمر لم تبالِ بصيحاتهم، لم تبرح تلك الصور والمشاهد ذهنها المشوش وهي لا تعرف أن تضع عينا على حقيقة الأمر فهي لا تتذكر شيئا سوى ما كتب في تلك المذكرات، كيف لها أن تكون قاتلة!!

سمعت صوت أنفاس تخترق رأسها، اعتدلت واستجمعت ما تبقى منها وجلست على الأرض وهي تستند إلى حائط الزنزانة الرطب وبدأت تجوب بنظرها بقاع الغرفة حتى استقر ناظرها، فزادت ضربات قلبها وتصاعدت الدماء لرأسها وشعرت أنها على وشك الإغماء من جديد بعدما رأت أمامها أربعة رجال في حالة تأهب للنيل مما تبقى منها وهم ينظرون إليها ويبتسمون ابتسامات ساخرة.

تحاشت النظر إليهم وبدأت تسترق السمع لكلماتهم التي طالت سمعها وهي تخفض رأسها وعجزت أن تفهم ما يدور حولها ولكن أخيرا تحدث إليها المقدم (أحمد شوقي) بشيء من الهدوء قائلا:

- (وعد) احنا جهة التحقيق الخاصة بقضيتك أظن جه الوقت اللي تعترفي فيه بجريمتك ودا لمصلحتك وليكي كل الحقوق القانونية بس اتكلمي يا (وعد) خلينا نساعدك في القضية!!

حاولت (وعد) أن تلملم من نفسها وبدأ الكلام ينزلق على لسانها لتخرج أخيرا كلماتها:

- أنا مش قادرة أستوعب أنا ازاي عملت كدا وازاي مش فاكرة كويس اللي حصل اليوم دا.. كل اللي أفتكره إن (يحيى) انتهك حرمات جسدي وو...!! توقفت فجأة عن الحديث وصمتت قليلا ليجدها فرصة مناسبة للحديث من جديد المقدم (أحمد شوقي) الذي قاطع صمتها قائلا:

- عشان كدا قتلتيه يا (وعد) هي دي الحقيقة اللي غايبة عنك اللي مفروض تعترفي بيها عشان نقدر نساعدك!!؟

صوته الغليظ أفاقها فاضطرت أن تتخذ أساليب دفاعية في مواجهة اتهامه وردت قائلة:

- أنا مقتلتش (يحيى) مقتلتوش.

وبدأت تفتش بيدها في تلك الأوراق المبعثرة بجوارها حتى أمسكت بآخر ورقة ورفعتها في وجهه وقالت وهي تشعر بنشوة الانتصار:

- دي آخر رسالة بعتها (يحيى) ليا من داخل السجن يبقى ازاي أنا قتلته!!؟

ابتسم المقدم (أحمد شوقي) ابتسامة مكر ودهاء وهو يداعب شاربه المكتظ ورد قائلا:

- أيوة يا وعد مش في نفس الرسالة دي بردو بيقول إن (مجدي) جوز أختك اتحكم عليه بالسجن ١٥ سنة وإن أخوكي اتمسك في سويسرا؟ كل دا خيال زائف يا (وعد) أخوكي مصطفى مقبوض عليه هنا في مصر من خمس سنين بتهمة تعاطي المخدرات وعمره ما سافر سويسرا.. أما عن جوز أختك (مجدي) المحامي فهو اللي ماسك قضيتك وبيدافع عنك.

وأشار بيده لأحد المعاونين له ففتح باب الزنزانة على مصراعيه لتكون أول المفاجآت الصادمة هي وجود (مجدي) وبدأ يتحرك بخطوات ثابتة وقد نال الترحيب المناسب من المحققين وجلس بجوارهم ينظر إلى (وعد) بشفقة وحزن!!

(وعد) تشعر أنه جن جنونها فطوال الجلسة لم تلتفت إلا هذه المرة التي دخل فيها (مجدي) عليها الزنزانة ليؤكد صحة ما يقع على سمعها، كانت تنظر إلى الأوراق المبعثرة الملقاة بجوارها وتقرأ تلك السطور وهي تلتفت ولا تحيد بصرها عنه، أرادت أن تتأكد أنه هو، تستدعي

الذكريات من أحداث مؤلمة مرت بها وهي مازالت معلقة بصرها بـ(مجدي).

و(مجدي) مازالت نظرات الحزن والقلق تظهر عليه فقال بصوت يحمل حنينا وحزنا دفينا:

- (وعد) أنا هنا عشانك انتي وكل اللي انتي ذكرتيه عني في مذكراتك هو مجرد هلاوس أنا عمري ما كنت صديق لرجل الأعمال (يحيى حامد) عارف إنك بتكرهيني عشان أخدت أختك وبعدنا عنك وسبناكي لوحدك.. يمكن دا كفيل إنك تحطيني بالصورة دي في مذكراتك وتتهمني كل الاتهامات دي.. وأنا جاي النهاردة عشان أصلح ولو جزء بسيط من اللي حصل وأقف معاكي في قضيتك.. لازم تساعديني يا (وعد) الإنكار مش هو الحل دلوقتي ساعدينا نخفف عنك الحكم ساعدينا يا (وعد)!!

تعجبت (وعد) كيف استطاعت تحديد كل تلك التفاصيل في أحلامها بهذه الدقة فلم تجد حيلة للمراوغة من جديد رغم أنها لا تتذكر كيف فعلت ذلك ولكن كل شيء يقول عكس ما ذكرته في مذكراتها وكل شيء كانت تعتقد أنه حقيقي تبخر في لحظات، تشعر أن رأسها يكاد يفتك بها من شدة التفكير هي لا تتذكر سوى بعض المشاهد من المقاومة ورذاذ الدماء يتطاير وفستان ممزق وجسد استهلك، إذَنْ هي القاتلة ولا مفر للإنكار بعد الآن رغم أنها لا تتذكر التفاصيل ولكنه أصبح أمرا لا مفر منه

فحاولت الإمساك بأي خيط يوصلها للحقيقة وتخرج منه من تلك الورطة.

لاحظ (مجدي) ارتباكها وشحوب وجهها فابتسم لها، هي نظرت إليه ولم تستطيع أن تبادله نفس الابتسامة، فحرك هو المياه الراكدة بعد حالة الصمت المبهم التي سيطرت على الجلسة قائلا:

- بالمناسبة يا (وعد) سنحاول أن نجعل لكِ خروجا آمنا فأنت ضحية لا يجب أن تعاقب ولكن اعترافك هيحطك تحت الملاحظة الطبية لفترة من الوقت مش هتبقي في السجن تاني ولكن طول ما انتي بتنكري هتفضلي مكانك هنا لأن كل الدلايل ضدك وأنا المحامي بتاعك بنصحك بالصح صدقيني يا (وعد)!

تعمدت (وعد) أن تكون إجابتها مقتضبة وسريعة في ظل حيرتها وردت قائلة بتلعثم شديد:

- نعم قتلته رغم إني مش قادرة أفتكر اللي حصل بوضوح تام ولكن قد تكون هذه هي الحقيقة الغائبة عني واللي أتمنى أتذكرها بوضوح قريب..

وأخيرا وقع على سمعهم ما أرادوه منذ فترة وتحقق لهم المراد وبدأ الجمع في التأهب ولملمت الأوراق والخروج من تلك الزنزانة مخلفين

وراءهم العديد من الأسئلة تكاد تفتك برأس (وعد)، وقبل أن يغادر المقدم أحمد شوقي ألقى كلماته الأخيرة على وعد قائلا وهو يبتسم:

- الله ينور عليكي يا وعد إن شاء الله هنحاول نخرجك الخروج الآمن اللي اتفقنا عليه، وأدار ظهره وقبل أن يغادر ابتسم في وجهها وكأنها النهاية التي أراد أن يتوصل لها..

"تابع بشغف للنهاية.."

الفصل الرابع عشر

النهاية

عندما تحين لحظة النهاية تُكشف الحقائق تباعا..

وبعد مرور ثلاثة أشهر

كانت تجربة صعبة.. كانت سليمة معافاة ولكن المرض اجتاح جسدها وفكرها وبدأت الهلاوس تتلاعب بها من حين إلى آخر، كان ينهش في جسدها حتى قضى عليها واستلسمت له دون أن تدري، أصبح المكان موحشا كلما مر الوقت عليها وهي مازالت هنا، على الرغم من أنها تسكن تلك المصحة منذ اعترافها الأخير فوضعت تحت الملاحظة وتركت أخيرا عتمة تلك الزنزانة التي تواجدت فيها طيلة الأيام والشهور الماضية، رغم أن المكان أفضل من ذي قبل ولكنها تشعر أنها مازالت مسجونة.. هي تريد أن تتحرك هنا وهناك كما كانت جسدا مليئا بالحيوية ويحمل في قلبه أمالا عريضة للمستقبل الذي أصبح يسكنه الموت وتشعر أنها لا تتحسن في ذلك المكان بل إن المرض يزداد بها والهلاوس أصبحت مباحة لها تسير معها في طرقات المصحة وتحدث نفسها كثيرا دون أن يتواجد أحد معها.

على الجانب الآخر وأمام باب غرفتها يقف الدكتور (محمد) ويهندم من ملابسه ويستعد للدخول عليها كما هي عادته كل يوم ليناولها الدواء في الموعد.

وقبل أن يتحرك سمع صوت أقدام تتحرك نحوه فأدار ظهره وانحنى احتراما لوجود المقدم (أحمد شوقي) أمامه، هو ربت على كتفه ثناءً على احترامه الزائد قائلا:

- ها يا دكتور إيه الاخبار طمني يا بطل!؟

اعتدل الدكتور (محمد) بعد انحنائه الذي استمر للحظات مع ابتسامة ثقة ورد قائلا:

- كله تمام يا باشا العلاج بتاع الهلاوس اللي بتاخد منه كل يوم مفعوله شغال كويس وبقت بتكلم نفسها وبقت مجنونة رسمي يا كبير.

رجع المقدم (أحمد شوقي) للوراء من شدة الضحك واستند على الحائط المقابل للغرفة متحدثا بسخرية شديدة قائلا:

- الله ينور عليك يا دكتور كدا انت تعجبني.. أنا عايزها تبقى مش عارفة نفسها كمان كام شهر عشان لما تقف قدام القاضي يتأكد إنها بتخرف أحسن تغير أقوالها من تاني!!

رد ساخرا الدكتور (محمد) قائلا:

- لا متقلقش يا باشا العلاج اللي بدهولها كل يوم مفعوله قوي وزي ما أخدنا منها اعتراف إنها قتلته نقدر نأكد الاعتراف تاني في المحكمة وبكدا محدش طالع خسران..

ربت على كتفه (أحمد شوقي) قائلا:

- الباشا الكبير مبسوط منك.

ومد يده في جيبه وأخرج رزمة كبيرة من المال وقدمها لدكتور (محمد) قائلا:

- خد يا بطل دي مكافأة كدا بسيطة عشانك ولما يعدي يوم المحكمة على خير ليك زيهم..

أمسك الدكتور (محمد) برزمة المال وبدأت عينه تلمع من الفرح قائلا:

- تشكر يا كبير دايما بتيجي في معادك والله.. بس ليا سؤال يا باشا!؟

- اسأل يا دكتور عشان مش فاضي سؤال إيه!؟

الدكتور (محمد) وهو يداعب خصلات شعره متردد في السؤال وصمت قليلا، ولكن أفاقه (أحمد شوقي) قائلا:

- ساكت ليه اسأل!!؟

رد مسرعا خوفا من غضبه قائلا:

- بس (يحيى بيه حامد) الله يرحمه يا باشا مات جوة السجن ازاي خليتوا القضية فجأة تحولت إنها تبقى في اليخت وعلى إيد (وعد)!!؟

يضحك (أحمد شوقي) وهو يكز على أسنانه قائلا:

- (يحيى حامد) بنفوذه وسلطته كان مفروض هيخرج بكفالة بعد ما يقضي شهور قليلة في السجن عشان الرأي العام بس مش أكتر ولأنه كانت معاه أدلة على ناس كبيرة في البلد ناوي يقدمها عشان ميقعش لوحده والفلاشة اللي اتقدمت في المحكمة دي مجرد خيط كان هيوصل لناس أكبر بكتير.. وقبل ما يخرج الرجالة بعتت خلصت عليه جوة السجن والإعلام وقتها وصلهم خبر خروج (يحيى حامد) بكفالة بعد شهور قليلة من سجنه بعد كمان لما (وعد) اتنازلت عن القضية.. وبعد انتشار خبر خروج (يحيى) من السجن بأيام قليلة الشرطة لقت جثته في اليخت بتاعه مع شهادة شهور زور أكدوا إن (وعد) كانت موجودة في اليوم دا مع سجل المكالمات اللي تم بينهم لأنه كان عايز يشوفها بعد ما خرج ومتنساش دور الطب الشرعي اللي أكد إن الوفاة حصلت في نفس مكان وجود الجثة.. مع علاج الهلاوس اللي وعد بتاخده على إيدك من بعد الحادثة خلت عندها تشويش في أفكارها وخلى عندها يقين أخيرا انها مريضة بحالة انفصام مش مريضة متلازمة "ستوكهولم" زي ما

كان مكتوب في تقرير المستشفى اللي دخلتها بعد الحادث كل دا كان متخطط ليه كويس أوي، كانت (وعد) هي طرف الخيط الأضعف وكانت الحل الأمثل لوجود قاتل لديه دافع قوي للانتقام لازم يتقدم للرأي العام.. حتى (مجدي) جوز أختها خرج من القضية زي الشعرة من العجينة بعد ما تعاون معانا وأقنعها إنها مريضة وإنها قتلت (يحيى) انتقاما منه وإن كل اللي ذكرته في مذكراتها ما هي إلا هلاوس.. متنساش كمان احنا باعتينك مخصوص للمهمة دي وإنك أخدت أختها طريق عشان تبين إنك خايف عليها وإنك واقف جنب أختها المريضة وانت في الحقيقة شغال معانا.. يعني انت جزء من اللعبة دي حاول تخلص مهمتك عشان نرتاح كلنا.. وبكدا مبقاش فاضل غير إنها تعترف على نفسها من تاني قدام المحكمة وبكدا تبقى اتقفلت القضية..

لم تتعدَّ دقائق أخرى من ذلك الحديث الذي طال بينهم تبادله خلالها التحية، ثم ساد الصمت بعدما استأذن المقدم (أحمد شوقي) ومضى في طريقه.

ولكن خلف باب الغرفة الموصدة كانت (وعد) تسترق السمع، فعجزت عن أن تجد لدى عقلها تفسيرا لما سمعت، كان عقلها خارج نطاق الخدمة وكل تلك الكلمات التي نزلت عليها كالصاعقة جعلتها تشعر بالغثيان، صدمة كبيرة تعرضت لها.. تمتمت ببعض كلمات السباب لما

وصل إليه حالها وقد امتلأت عيناها بالدموع، جمعت ما تبقى لديها من قوة وبدأت تعيد ترتيب أفكارها بسرعة.

دخل عليها الغرفة أخيرا الدكتور (محمد)٠٠ وفي يده الدواء وقد وجدها جلست على السرير تنظر له بترقب وعيناها تشتعل غضبا يبرز في ملامح وجهها، تعجب هو من نظراتها العدائية ولم يستطع أن ينظر إليها أو مواجهتها بحقيقة الأمر، تحاشى النظر في عينيها وهو يفتح بيده اليسرى ذلك الدواء القاتل الذي بسببه تدهورت حالتها يوما بعد الآخر، مازلت تنظر إليه وهي تشتعل غضبا وقد أمسكت بقطعة من الزجاج المسنن خلف ظهرها، تحاملت على نفسها حتى نزعت من يدها الكانيولا المثبتة في يدها وهو مازال يتحاشى النظر إليها، ساد المكان الصمت ثم!!

.....

"ترى من سينتصر في النهاية ومن هو الضحية القادمة!!

الخيار لك ضع أنت النهاية التي تروق لك ونفث بها عن غضبك

لعلها تكون بداية لقصة جديدة أو نهاية منطقية تنهي الجدل الدائر في رأسك!!"

تمت بحمد الله..

٢٠١٨/٦/٢٧

القاهرة _ الخامسة فجرا

"ستوكهولم"

رواية

للكاتب / ياسر مُحَمَّد

متلازمة ستوكهولم في سطور.

ظهر مصطلح "متلازمة ستوكهولم" منذ أربعين عاما، وذلك مع انتهاء حصار استمر لمدة ستة أيام على أحد البنوك في السويد – بمدينة ستوكهولم.

فما طبيعة تلك المتلازمة وما الذي يربطها دائما بقصص احتجاز الرهائن؟

قناصو الشرطة أثناء احتجاز الرهائن داخل البنك عام ١٩٧٣ بمدينة ستوكولهم قبالة مقر "كريديت بانكن" بستوكهولم

يعرف الغالبية من الناس مصطلح "متلازمة ستوكهولم" نتيجة لاستماعهم إلى عدد من القصص الشهيرة عن حالات الاختطاف واحتجاز الرهائن، خاصة في الحالات التي كانت الرهينات والمختطفات فيها من النساء.

وغالبا ما يجري ربط هذا المصطلح بما حدث لباتي هيرست، وهي ابنة أحد الأثرياء من كاليفورنيا، والتي كان قد اختطفها بعض المسلحين الثوريين عام ١٩٧٤، لتبدي تعاطفا مع مختطفيها وتشاركهم في إحدى عمليات السطو، قبل أن ينتهي بها الأمر لأن يتم إلقاء القبض عليها ويحكم عليها بالسجن.

إلا أن محامي الدفاع عن هيرست قال إنها قد خضعت لعملية غسيل دماغ، وإنها كانت تعاني بما يعرف بمتلازمة ستوكهولم، والتي اصطلح عليها مؤخرا لتفسير المشاعر غير المنطقية التي يشعر بها المختطَفون تجاه مختطِفيهم.

وكانت آخر تلك القصص التي وصفتها التقارير الإعلامية بنفس الوصف هي حالة ناتاشا كامبوش، والتي كانت قد اختطفت وهي في العاشرة من عمرها من قبل وولفغانغ بريكلوبيل واحتجزت داخل أحد

الأقبية لمدة ثمانية سنوات. حيث نقل عنها أنها أجهشت بالبكاء عند سماعها خبر موت مختطِفها، وقامت بإشعال شمعة حيث يرقد جسده.

ومع أن هذا المصطلح أصبح معروفا على نطاق واسع، إلا أن الحادثة التي ساعدت في ظهوره لا يزال يكتنفها نسبيا بعض الغموض.

ولا يعرف أحد من خارج مملكة السويد هذه الأسماء:

- بريغيتا لاندبلاد، وإليزابيث أولدغرين، وكريستين إنمارك، وسفين سافستروم، وهي أسماء أربعة من الموظفين في أحد البنوك هناك.

ففي الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٧٣، احتجز الأربعة داخل بنك "كريديت بانكن" بستوكهولم من قبل جان إيريك أولسون ذو الاثنين وثلاثين عاما، والذي انضم إليه فيما بعد أحد زملائه في السجن.

وبعد ستة أيام ومع انتهاء ذلك الاحتجاز، بدا على المخطوفين أنهم قد بنوا علاقة إيجابية مع هذين الخاطفين.

اختطفت نتاشا كامبوش وهي في العاشرة

ومن هنا نشأت فكرة متلازمة ستوكهولم. حيث كان الطبيب النفسي والباحث في علم الجريمة نيلز بيجيروت هو أول من صاغ هذا المصطلح، وأظهر الطبيب النفسي فرانك أوشبيرغ اهتماما بهذه الظاهرة وقام في السبعينيات من القرن الماضي بتعريف المتلازمة وتوضيحها لمكتب التحقيقات الفدرالي وجهاز الشرطة البريطانية "سكوتلاند يارد".

حيث كان يعمل في ذلك الوقت على مساعدة فرقة العمل الوطنية الأمريكية لمكافحة الإرهاب والفوضى في وضع استراتيجيات للتعامل مع حالات احتجاز الرهائن.

وتضمنت معاييره ما يلي:

"في البداية، يتعرض الناس فجأة لشيء يحدث رعبا في نفوسهم، مما يجعلهم متأكدين من أنهم مشرفون على الموت. ثم يمرون بعد ذلك بمرحلة يكونون فيها كالأطفال غير قادرين على الأكل أو الكلام أو حتى الذهاب لقضاء الحاجة دون الحصول على إذن".

ويوضح أوشبيرغ أن قيام المختطف ببعض الأعمال الطيبة تجاه المخطوفين، كتقديم الطعام لهم، من شأنه أن يحفز لديهم شعورا بالامتنان "لمنحهم الحياة".

وأضاف قائلا:

"يتكون لدى الرهائن شعور إيجابي قوي أصيل تجاه خاطفهم، يرفضون من خلاله أن يكون ذلك الشخص هو من عرضهم لذلك الموقف، ويتأصل لديهم شعور بأنه هو الشخص الذي سيمنحهم الفرصة للعيش".

إلا أنه يرى أن الحالات التي تظهر فيها هذه المتلازمة هي حالات نادرة.

ويأتي السؤال هنا:

- ما الذي حدث داخل ذلك البنك وأدى إلى ظهور تلك المشاعر الإيجابية لدى المخطوفين تجاه خاطفيهم، على الرغم من تعرض حياتهم للخطر؟

ففي مقابلة أجريت معها عام ٢٠٠٩ على قناة راديو السويد، قالت كريستين إنمارك، وهي إحدى ضحايا تلك الحادثة:

"إنه نوع من مجريات الأحداث التي تتعرض لها، للدرجة التي تحدث بطريقة ما تغييرا في قيمك وأخلاقياتك كلها".

وطبقا للتقارير الواردة، كانت إنمارك صاحبة أقوى العلاقات بين الرهائن الأربعة مع محتجزيها.

ففي إحدى المكالمات الهاتفية التي أجرتها من داخل أحد أقبية البنك مع رئيس الوزراء آنذاك أولوف بالم، كانت إنمارك تتوسل إلى هذا الأخير حتى يسمح لها بمغادرة مبنى البنك مع الخاطفين.. وكان أولسون قد طالب بإحضار سيارة إليهم حتى يتمكنوا من الهرب فيها مع الرهائن، إلا أن السلطات رفضت ذلك الطلب.

وقد أعربت بالم لرئيس الوزراء عن "خيبة أملها" فيه.

أولسون يحتجز الرهائن في قبو البنك

وقالت:

"أعتقد أنك لا تقوم بشيء سوى الجلوس هناك واللعب بأرواحنا.. إنني أثق بكلارك وبزميله، ولا أشعر بأي نوع من اليأس.. هم لم يرتكبوا أي أمر سيئ معنا. بل على العكس، كانوا لطيفين جدا معنا".

وأردفت مخاطبة رئيس الوزراء:

"إن ما يقلقني بالفعل هو أن تداهم الشرطة المكان وتتسبب في مقتلنا".

وكـان الصـحفي الأمريكـي دانييل لانـغ قد قـام بعد عـام بـإجراء حـوار لصحيفة "ذا نيو يوركر" مع كل من حضروا تلك القصة، وكان من شأن ذلك الحوار أن يسلط الضوء على معظم مـا حدث وكيف كانت طريقة تفاعل الخاطفين والمخطوفين مع الأحداث.

وكتب لانغ معلقا أن الرهائن كانوا يتحدثون عن حسن معاملتهم من قبل خاطفهيم.. بل إنهم بدوا في لحظة ما وكأنهم مدينون لخاطفيهم بحياتهم.

ففـي إحـدى المـرات أثنـاء حادثـة الاختطـاف تلـك، سـمح لإيليزابيـث أولدغرين -وكان لـديها رهـاب من الأمـاكن المغلقة- بـالخروج من ذلك القبو الذي كانوا محتجزين فيه والتحرك في الخارج وهي تربط شريطا حول عنقها.

وقالت إنها شعرت في ذلك الوقت بأن السماح لها بالتجول يعد لطفا من خاطفها أولسون.

كما أن سافستروم، وكان أحد المخطوفين، قال إنه شعر بالامتنان عندما أخبره أولسون بأنه ينوي إطلاق النار عليه حتى يبين للشرطة جديته في الأمر، إلا أنـه أضـاف بأنـه سيتأكد من أنـه لـن يقتلـه إلا بعد أن يكـون مخمورا تماما.

وتعمل متلازمة ستوكهولم على إبراز التعارض في المشاعر لدى المخطوفين، إلا أن مشاعر الخاطفين تختلف أيضا.

حيث كان أولسون قد قال أيضا إنه وفي بداية تلك الحادثة، كان من الممكن أن يجهز على جميع الرهائن إلا أنه دفع مع مرور الوقت لتغيير رأيه.

وكتب لانغ مضيفا:

"كان أولسون يتحدث بشدة عن أن ذلك يعد خطأ الرهائن. حيث قال:

- لقد كانوا يقومون بكل شيء أطلبه منهم. ولولا ذلك، لما آل الحال لما أنا عليه الآن. لماذا لم يقم أحد منهم بمهاجمتي؟ لقد جعلوا من الصعب عليّ أن أقتلهم! لقد كانوا يجبروننا على التعايش معهم يوما بعد يوم. ولم يكن أمامنا مفر من التعرف على بعضنا البعض".

وطبقا لمقالة نشرت عام ٢٠٠٧ في نشرة "لو إنفورسمنت" أو "تطبيق القانون" التي تصدر عن مكتب التحقيقات الفدرالي، تأتي هذه النظرية بمثابة المفتاح الرئيسي في متلازمة ستوكهولم، والذي يمكن للمفاوضين في مثل تلك الأزمات أن يعملوا على إذكاء تلك المشاعر الإيجابية عند الخاطفين، وهو ما من شأنه أن يزيد من فرص نجاة الرهائن.

إلا أنه وعلى الرغم من تطبيق الشرطة لتلك النظرية في عمليات تحرير الرهائن، يقول هاغ ماكغووان، الذي أمضى خمسة وثلاثين عاما يعمل في قسم شرطة نيويورك، إن من النادر حدوث تلك المتلازمة.

وكان ماكغووان يعمل كقائد للشرطة وكبير للمفاوضين في فريق التفاوض بشأن الرهائن، والذي جرى تشكيله في إبريل/نيسان عام ١٩٧٣ بعد تزايد حوادث احتجاز الرهائن عام ١٩٧٢.

وقال ماكغووان:

"سيكون من الصعب عليّ القول بوجود تلك المتلازمة. ففي بعض الأحيان وفي مجال علم النفس، يبحث الناس عن السبب والتأثير لشيء ما بينما لا يكون موجودا هناك".

وتابع قائلا:

"إن ما حدث في ستوكهولم يعتبر حادثة فريدة، حيث ظهرت تلك الحادثة في وقت بدأنا نشهد فيه تزايدا في حوادث احتجاز الرهائن. ومن الممكن أن الناس كانوا يعمدون إلى عدم استبعاد تلك النظرية التي قد نراها تتكرر مرة تلو المرة".

ويعترف ماكغووان أن هذا المصطلح قد حصل جزئيا على صيته بعد أن اجتمع المجالان النفسي والبوليسي على الحديث عنه في عمليات التفاوض بشأن الرهائن.

ولا توجد معايير تم الاتفاق عليها لتعريف هذه المتلازمة، كما أنها ليست مذكورة في أكبر دليلين للصحة النفسية:

- الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية، والتصنيف الإحصائي الدولي للأمراض والمشاكل الصحية ذات الصلة، والذي يعرف بـ"آي سي دي".

إلا أن بعض الاختصاصيين في مجال العلاج النفسي يرون أنه يمكن الربط بين المبادئ الأساسية لهذه المتلازمة وبين مختلف الحالات التي شهدتها.

الختام..

وهكذا ترنّم القلم على قيثارة الفكر والشّجن، متجوّلا حينا، ومتأمّلا أحيانا؛ فالموضوع كالدّوحة المثمرة، أغصانها وافرة، وثمارها متعة لذيذة، تحتاج صفحاتٍ وصفحاتٍ كي نأتي على ذكر ثمارها، فما بالنا بظلالها الوافرة.

فهذا جهدٌ متواضع لعلّه أنار غصنا من أغصانها، علّني أكون قد قدّمت شيئا نافعا.

سنمضي إلى الأمام ولن يقف في دُروبنا المرض والصِعاب، لندخل في سباق الحياة ونحقق الفوز بعزمِنا، فاليأس والاستسلام ليسا من شيمنا.

أحيانا يغلق الله سبحانه وتعالى أمامنا بابا لكي يفتح لنا بابا آخر أفضل منه، ولكن معظم الناس يضيع تركيزهم ووقتهم وطاقتهم في النظر إلى الباب الذي أُغلق، بدلا من باب الأمل الذي انفتح أمامهم على مصراعيه.

الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء. فلا تحاول أن تعيد حساب الأمس وما خسرت فيه، فالعمر حين تسقط أوراقه لن تعود مرة أخرى، ولكن مع كل ربيع جديد سوف تنبت أوراق أخرى فانظر إلى تلك

الأوراق التي تُغطي وجه السماء ودعك مما سقط على الأرض فقد صارت جُزءا منها.

النهايات دائما نريدها تتسم بالأمل، فالأمل هي تلك النافذة الصغيرة، التي مهما صغر حجمها، إلا أنها تفتح آفاقا واسعة للحياة.

فإذا أردت أن تكون سعيدا وأن تجعل الحياة سهلة، حاول أن تستمتع في كل الأمور حتى أصعبها.

تحرر من سلطة ذاتك ومرضك وانكسارك وقتها ترى الناس والدنيا والسعادة ملك يديك.

كثيرون من الناس يعتقدون أن كل سرور زائل ولكنهم يعتقدون أن كل حزن دائم، فهم يؤمنون بموت السرور ويكفرون بموت الحزن.

أول ما تأخذه من الدنيا شهقة هواء وآخر ما تتركه من الدنيا زفير هواء!

هذا هو العدل:

- إنك تعيد ما أخذت بكل هدوء.

فقبل أن تترك الحياة وتبعد نظرك عن تلك السطور لا ترحل وتترك المرض في عقلك غير مدرك ما تحركك به يدك في الاتجاه المعاكس.

ولا تفقد أملا أن تعود أفضل مما كان ما دام هناك ضمير يشع بالنور وهما إزالته الدموع وعدلا يطبق وراحة تسكن جوارحك.

وسوف تكتشف أن هذه السطور ليست أجمل ما كُتِبت وأن هذه الأوراق ليست آخر ما سُطِرت وأنها يجب أن تفرّق بين من وضع سطوره في عينيه، ومن ألقى بها للرياح، لم تكن هذه السطور مجرّد كلام جميل عابر، ولكنّها مشاعر قلب عاشها حرفا حرفا ونبضت حملها حلما واكتوت بنارها ألما، فلن تكون مثل مالك الحزين هذا الطائر العجيب الّذي يُغنّي أجمل ألحانه وهو ينزف، فأيقنت أنه لا شيء في الدنيا يستحق من دمك نقطة واحدة لتتلوها بذكرى مؤلمة..

للتواصل مع الكاتب / ياسر محمد

الحساب الشخصي علي الفيس بوك

www.facebook.com/yaser.mohamed.٩٢

أو عن طريق الصفحة الرسمية (البيدج)

www.facebook.com/YasserMohammedWriter/

أو من خلال الحساب الرسمي علي (تويتر)

twitter.com/yasermessi٥٩

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار